الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي–جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

عنوان المذكرة

تداولية فعل الأمر في سورة التوبة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص: لسانيّات عربية

إعداد الطالبتين:

- ✓ مريم زيار
- ✓ جهيدة عماري

إشراف الأستاذ:

فاتح بوزيت

لجنة المناقشة:

محمّد زكور	جامعة جيجـــــل	رئيسا
فاتح بوزيت	جامعة جيجـــــل	مشرفا ومقررا
محمد بولحية	جامعة جيجـــــل	مناقشا

السنة الجامعية: 1440هـ/1441هـ – 2019/2020م

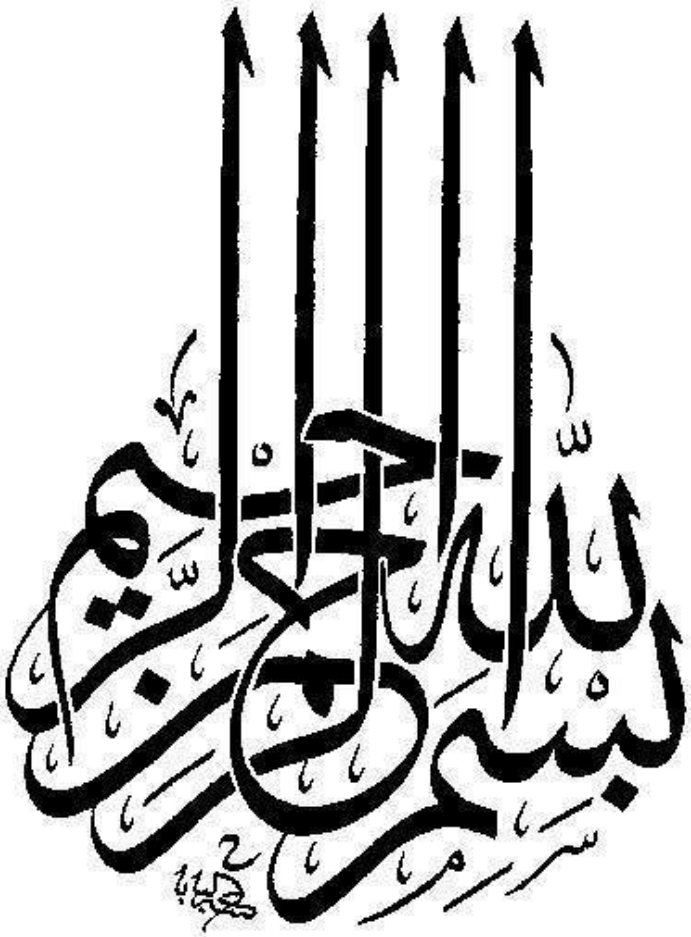

إهداء

إلى من قال فيهم الله عزّ وجلّ "ووصّينا الإنسان بوالديه إحسانا"

ومن كان دعاؤهما سندا لنا ولازال لطريقنا نبراسا

إلى التي لم نجد كلمة توفّي حقّها حفظك الله "أمي" أطال الله في عمرك

إلى الذي ربّاني على الفضيلة والأخلاق "أبي العزيز" أطال الله في عمرك.

إلى "جدّي وجدّتي" أطال الله في عمرهما.

إلى "أخي" سدّد الله خطاك، إلى "أخواتي" أنعم الله عليهن بالخير.

إلى كل الأهل والأصدقاء كبيرهم وصغيرهم دون استثناء.

إلى صديقات العمر كل واحدة باسمها.

"مريم" و "جميدة"

مقدمة

مقدمة

مدخل

ماهية التداوليّة

1- مفهوم التداوليّة

التداولية علم يهتمّ بعلاقة اللّغة بمستعمليها وهي من بين العلوم التي تهتم بالإنسان وفكره اللّغوي، وتعتبر _التداولية_ مصبّ اهتمام كثير من الدارسين والنقّاد، إذ شغلت مؤلّفاتهم على مساحات واسعة وكانت عناوين لدراسات كثيرة باعتبارها مبحثا لسانيا، كما أنّها تتداخل مع كثير من العلوم الأخرى ممّا جعل كل باحث ينطلق من تعريفها من مجال تخصّصه.

1-1 تعريف التداوليّة لغة

قبل الخوض في تعريف التداوليّة اصطلاحا لابد من تعريفها لغة، وكيف وردت في المعاجم اللّغوية والبلاغيّة فالتداولية مصدر من الجذر اللّغوي "دول" وجاء في لسان العرب لابن منظور "دول" «تداولنا الأمر: أخذناه بالدُّولِ وقالوا دَواليكَ أي مُداولَةً على الأمر ...ودالتِ الأيّامُ أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرَّة وهذه مرة.... ودَوالَيْكَ من تداوَلُوا الأمر بينهم يأخذ هذا دولة وهذا دولة».[1]

ووردت في مقاييس اللّغة على أصلين: «الدال والواو واللّام أصلان: أحدهما يدلّ على تحوّل شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدلّ على ضعف واسترخاء، فأمّا الأوّل فقال أهل اللّغة: أنْدَالُ القَوْم: إذا تحوّلوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القَومُ الشيء بينهم: إذا صار بعضهم إلى بعض؛ والدَّولة والدُّلة لغتان. ويقال بل الدَّولة في المال والدَّولة في الحربِ وإنّما سميّا بذلك من قياس الباب، لأنّه أمر يتداولونَه، فيحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا ».[2]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ، بيروت ، لبنان، ط4، 2005 م، مادة دول، المجلد5، ص 328.

[2] ابن فارس: معجم مقاييس اللّغة، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ، 2008م، مادة دول الجزء 1، ص 426.

ولا تكاد المعاجم الأخرى تخرج عن هذه الدّلالات، فعلى نهج مقاييس اللّغة سار صاحب معجم "**أساس البلاغة**" « يقول "دالتْ له الدولة، ودالتِ الأيّام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوّهم: جعل الكرّة لهم عليه....واللّهُ يُداول الأيّام بين الناس مرّة لهم ومرّة عليهم. والدّهرُ دُوَلٌ وعُقُبٌ ونُوبٌ وتداولوا الشيء بينهم».[1]

وخلاصة هذا المفهوم اللّغوي أن معنى (دول) في المعاجم العربية لا تكاد تخرج عن معاني: التحول والتبدّل والانتقال سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخرى والتناقل من أيدي هؤلاء إلى أيدي هؤلاء، ممّا يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحوّل والتغيّر والتبدّل والتّناقل، وهذا حال اللّغة منتقلة من المتكلّم إلى السامع، ومنتقلة بين النّاس ويتداولونها ويستعملونها بينهم ومن هنا تتّضح لنا العلاقة بين المطلب اللّغوي والاصطلاحي الآتي:

1-2 تعريف التّداوليّة اصطلاحا

إنّ مجال التداوليّة مجال واسع ومتشعّب، ممّا جعل عمليّة حصره بدقّة إجراء يكتسي صعوبة تقنيّة، فعلى الرّغم من الجهود التي بُذِلت من قبل الباحثين المحدثين من أجل وضع تعريف واضح وشامل للتداوليّة إلّا أنّها بقيّت غامضة دائما، وذلك راجع إلى أنّ مفهومها قد اهتمّت به مصادر معرفيّة عديدة، لذلك اختلف علماء اللّسانيّات في تحديد مفهوم خاص بها يلمّ بآفاقها وانشغالاتها.

والاختلاف لم يقتصر فقط على المفهوم، وإنّما مسّ أيضا كيفيّة وتسميّة المصطلح وترجمته لهذا نجد عدّة تسميّات تدور في فلك التداوليّة نذكر منها: (البرغماتية، النفعيّة، القصديّة، السيّاقيّة، المقاميّة، التداوليّة...إلخ).[2]

---

[1] الزمخشري: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم، وشوقي المعرّي، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص245.

[2] خليفة بوجادي: في اللّسانيات التداوليّة، بيت الحكمة للطباعة والنشر، ط1، 2009، ص 65.

أي أنّ التداوليّة درس جديد إلّا أنّه لا يملك حدودا واضحة، حيث تقع أكثر الدروس الحيويّة في مفترق طرق البحث الفلسفية واللّسانيّة، حيث تنوّعت وجهات النّظر بين الدارسين سواء عند مؤسّسيها ومؤيّديها في الغرب، أو عند دارسيها والباحثين فيها من العرب.

فلقد اهتمّ كثير من الدارسين العرب بتقديم مفهوم شامل للتداوليّة يتماشى والهدف الذي تسعى إلى تحقيقه، وقد أثارت هذه القضية الدكتور مسعود صحراوي فتتبّعها في مظانّها من أصول العلم العربي ورصد مباحثها في مؤلّف قدّمه للقراء بعنوان (التداوليّة عند العلماء العرب) وقد صرّح مبكّرا بمفهوم التداوليّة عنده فهي:« علم جديد للتواصل الإنساني يدرس الظواهر اللّغويّة في مجال الاستعمال ويتعرّف على القدرات الإنسانيّة للتّواصل اللّغوي ومن هنا تكون جديرة بأن تسمّى: علم الاستعمال اللّغوي».[1]

وفي حديثه عن الفرق بين المنهج البنيوي والمنهج التداولي يصفها بأنّها: «ليست علما لغويّا محضا بالمعنى التقليدي،علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللّغويّة ويتوقّف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنّها علم جديد للتّواصل يدرس الظواهر اللّغويّة في مجال الاستعمال، ويدمج من ثمّ مشاريع معرفيّة ومتعدّدة في دراسة ظاهرة التّواصل اللّغوي وتفسيره».[2]

وعليه فالتداوليّة علم لساني يدرس طريقة استعمال النّاس للغة أثناء أحاديثهم وتواصلهم الكلامي، إضافة إلى كيفيّة تأويلهم لها.

---

[1] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي– دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص16، 17.

[2] المرجع نفسه: ص16.

كما عرّفها "نعمان بوقرّة" انطلاقا من وجهة نظر المرسل والمرسل إليه بقوله: «التداوليّة تخصّص لساني يدرس العلاقة بين مستخدمي الأدلة اللّغويّة (المرسل، المرسل إليه) وعلاقات التأثير بينهما في ضوء ما ينتجانه من تحاور متّصل، ممّا يعني كونها علما تلفيقيّا أو موسوعيّا يجمع بين اختصاصات متعدّدة».[1]

بمعنى أنّ التداوليّة ليست علما لسانيا يقف عند البنية الظاهرة للغة بل هيّ كل علم جديد للتّواصل يسمح بوصف وتحليل استراتيجيات التخاطب اليومي بين المتكلّمين في ظروف مختلفة، فهي إذا تهتمّ بنوعيّة العلاقات الإجتماعيّة بين المتخاطبين.

لقد غيّرت التداوليّة مجرى الدّرس اللّغوي الحديث إذ أعادت الاعتبار للمعنى الذي كان مهملا في البنيويّة فهي إذا لا تنظر لمخارج الحروف ولا لأوزان الكلمات ولا حتى محل إعرابها، إنّما هدفها الرئيسي هو كيفية استعمال الكلمات في سياقها لغرض فهمها في مواقف معينة وهذا ما يصرّح به "بهاء الدين محمد مزيد" في كتابه " تبسيط التداوليّة" حيث قال: «هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصدها، في ظروف ومواقف معيّنة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليديّة».[2]

ففي استعمالاتنا اليومية لعبارة "الله يبارك" قد تفيد الاستحسان أو الإستهزاء فسياقها هو من يحدّد معناها.

واستنادا إلى هذه المفاهيم المذكورة، فالتداولية إذا هي العلم الذي يقوم بدراسة المفاهيم والألفاظ والأفكار التي لها علاقة بالاستعمال اللّغوي، وكذا بتفسير ما يعنيه الناس في بيان معيّن وكيفية تأثير السياق في ما يقال.

---

[1] نعمان بوقرة: لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص73.

[2] بهاء الدين محمد فريد: تبسيط التداوليّة من أفعال اللّغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010م، ص18.

أمّا عند الغرب فقد أشار العديد من الباحثين الغربيين إلى مفهوم التداولية إلا أنّ انطلاقتهم كانت من الدرس الفلسفي والمنطقي على وجه الخصوص إذ عرّفها "شارل موريس" "ch . Moris "بقوله: «التداولية جزء من السيميائيّة، التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات».[1]

ومنه فالتداوليّة في نظر "موريس" لا تقتصر على دراسة اللّغة المنطوقة فحسب وإنّما تتعدّى ذلك إلى دراسة العلاقات والإشارات التي يتواصل بها الإنسان وغيره.

كما تقوم التداوليّة بالبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلّم، بعبارة أخرى هي دراسة معنى كلام المتكلّم، فالتداوليّة هنا لا تهتم بالألفاظ أكثر من اهتمامها بما تحمله من معان ضمنيّة، وخير ما يجسّد هذا قول القائل: أنا عطشان مثلا، فقد يعني أحضر لي كوبا من الماء، وليس من لازم أن يكون أخبارا بأنّه عطشان فالمتكلّم كثيرا ما يعني أكثر ممّا تقوله كلماته.[2]

وهذا ما يظهر في قول جورج يول: «تختصّ التداوليّة (pragmatics) بدراسة المعنى كما يوصله المتكلّم (أو الكاتب)، ويفسّره المستمع (أو القارئ)، لذا فإنّها مرتبطة بتحليل ما يعنيه النّاس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة».[3]

بمعنى أنّ التداوليّة تهتمّ بالمعنى الضّمني للكلمات ولا تعير الاهتمام لهذه الكلمات وهي منعزلة عن السيّاق فمثلا قول الأب لابنه: "لقد أذّن المغرب" فهذه العبارة تكمل المعنى الكلّي لها، وليس معنى الكلمات منفردة فالأب هنا لا يقصد إبلاغ ابنه بأذان المغرب، وإنّما قوله يلمّح إلى أمره بالصّلاة.

---

[1] فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية مركز الإنتماء القومي تر، سعيد علوش ، الرباط، 1986،ص 06.

[2] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة ، دط، 2002م، ص 12_13.

[3] جورج يول: التداوليّة، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 1431_2010، ص 19.

وعليه فكلّ هذه الجهود الرّاميّة إلى تحديد تعريف جامع للتداولّية تشير إلى أنّها دراسة للغة أثناء التواصل أو الاستعمال، فهي تجمع بين اللّغة والسيّاق أثناء الدراسة لفهم المعنى لأنّ هذا الأخير ليس شيئا متأصّلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلّم وحده، ولا السامع وحده، بل لابدّ من تضافر أقطاب العمليّة التواصليّة والسيّاق للوصول إلى المعنى الكامل في الكلام.

2- الجذور الفلسفيّة للتداوليّة

إنّ البحث في اللغة قديم قدم البشريّة، وذلك لارتباطها بالحياة الاجتماعية للإنسان إذ هي وسيلة لتحقيق التواصل والإبلاغ من أجل التفاهم.

ولعلّ اللّسانيات علم من العلوم اللّغوية التي اهتمّت بدراسة اللّغة على مستوى الشكل والمعنى، فنجد أنّ البنيويّة اهتمت بالمستوى الأوّل منهما، في حين المستوى الثاني وجد مبحث آخر درسه وربطه بالاستعمال أي_دراسة اللّغة في الاستعمال_ وهذا البحث أو الدراسة هو مبحث التداوليّة.

إنّ اللّسانيات التداوليّة اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير، بدأت على يد "سقراط" ثم تبعه "أرسطو" و"الرواقيون" من بعده، بيد أنّها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظريّة فلسفية إلّا على يد "باركلي" فقد كشف عنها بطريقة لم يسبقه إليها فيلسوف آخر. [1]

إذن بالرغم من أنّ التداوليّة مبحث لساني جديد، إلّا أنّ البحث فيه يمكن أن يؤرّخ له منذ زمن قديم.

وأمّا عن أسبقية العرب لمعرفة الاتّجاه التّداولي فيقول سويرتي:«أنّ النحّاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين والمفكّرين مارسوا المنهج التّداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما ورؤية واتّجاها أمريكيا وأوروبيا». [2]

---

[1] ينظر: نعمان بوقرة: لسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2009، ص 163.

[2] محمد سويرتي: اللّغة ودلالاتها، عالم الفكر، الكويت،مجمع 28، ط3، 2000، ص 30.

أي إذا حاولنا البحث في نشأة هذه النظريّة، فهي قديمة المنشأ حديثة الدراسة تمتدّ جذورها في التّراث العربي، فقد وجدت عند علمائنا القدماء على اختلاف مشاربهم وتخصّصاتهم (الأصوليين والبلاغيين والنّحاة).

كما نجد نظريّة الخبر والإنشاء عند العرب مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أسبقيّة العرب لمعرفة الاتّجاه التّداولي، أي قديمة المنشأ عند العرب، أمّا من حيث الدّراسة فهي حديثة.

ويرجع أوّل استعمال لمصطلح التداوليّة في الغرب إلى الفيلسوف **"تشارلز موريس" سنة 1938م** حيث قدّم لها تعريفًا في سيّاق تحديده الإطار العام لعلم العلامات (**sémiologie**) وذلك في مقال له ركّز فيه على مختلف التخصّصات التي تعالج اللّغة (التركيب، الدلالة التداولية).[1]

وليس للدرس التّداولي المعاصر مصدر واحد ينبثق منه ولكن تنوّعت مصادر استمداده، إذ لكلّ مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه ف **الأفعال الكلامية** مثلا مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيّار **"الفلسفة التحليلية"** بما احتوته من مناهج وتيّارات وقضايا، وكذلك مفهوم **"نظرية المحادثة"** الذي انبثق من فلسفة **بول غرايس grice** وأمّا نظريّة الملاءمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي وهكذا.[2]

وبما أنّ الفلسفة التحليليّة هي الينبوع المعرفي الأوّل لمفهوم تداولي وهو **"الأفعال الكلاميّة"** فيمكن أن نلتمس جذورها في **الفلسفة التحليليّة**، فهي اتّجاه فلسفي ركّز على موضوع اللّغة وحاول تغيير مهمّة الفلسفة وموضوعها وممارستها، فقد حدّدت هذه الفلسفة لنفسها مهمّة واضحة عند تأسيسها على أساس علمي

---

[1] فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية ، ص8.

[2] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ،ص17.

موضوعه اللّغة فثارت على الفلسفة الكلاسيكية الميثافيزقية والطبيعيّة لتجعل مهام الفلسفة البحث في اللّغة وتوضيحها. [1]

نشأت الفلسفة التحليليّة في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني "**غوتلوب فريجة**" في كتابه "**أسس الحساب**" وكذلك من خلال محاضرات ودروس في الفلسفة والمنطق ضمنها الكثير من القضايا الفلسفية التحليليّة التي أنتجت بدورها "**نظريّة أفعال الكلام لأوستين**" في اللّغة من خلال تناولها لقضايا التداوليّة. [2]

وقد أثّر **فريجة** في "**فيتجنشتاين**" فبحث عن اللّغة المثلى لوصف العالم واهتمّ بدراسة اللّغة العادية فعالج فيها مشكلة الغموض والوقوع في التّناقض اللّغوي. [3]

وإلى جانب "فتجنشتاين" يوجد عدد من الفلاسفة تأثروا بالتجديد الذي جاء به "فريجة" منهم "**هوسرل كارناب، أوستين، وسيرل**.... وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة، مفادها « أنّ فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأوّل على اللّغة فهيّ التي تعبّر عن هذا الفهم وتلك رؤية مشتركة بين جميع التيارات الفلسفية التحليليّة».[4]

وقد لخّص "**مسعود صحراوي**" مفهوم الفلسفة التحليليّة حسب الهدف التي تسعى إليه في جملة من المطالب والاهتمامات من بينها:

ـ ضرورة التخلّي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم وخصوصا جانبه الميثافيزيقي.

---

[1] ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص18.

[2] خليفة بوجادي: في اللّسانيات التداوليّة،ص 50.

[3] محمد عكاشة: النظريّة البراجماتية اللّسانيّة التداوليّة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013، ص45.

[4] مسعود صحراوي: مرجع سابق، ص 21.

ـ تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع "نظريّة المعرفة" إلى موضوع التّحليل اللّغوي.

ـ تجديد وتعميق بعض المباحث اللّغويّة، ولاسيما مبحث "الدلالة" والظّواهر اللّغوية المتفرّعة عنه.[1]

من خلال هذه النقاط نرى أنّ التداوليّة قامت على أنقاض الفلسفة التحليليّة منهجيّا و التي كان المنهج المثافيزيقي يطغى عليها، إضافة إلى أنّها اهتمّت بالجانب التّحليلي للّغة لا النّظري الشّكلي.

وتنقسم الفلسفة التحليليّة إلى ثلاثة فروع أو اتّجاهات كبرى:

- الوضعانية المنطقية – الظاهراتية اللّغويّة – فلسفة اللّغة العادية.

أمّا الوضعانية المنطقيّة فيتزعّمها "**رودولف كارناب**" الذي تتلمذ على يد "**فريجة**" ويرى أصحاب هذا الاتّجاه في طوره الأوّل أنّ اللّغة الجديرة بالتحليل هي اللّغة المثاليّة، لكن سرعان ما غيّر كارناب موافقته، ليهتمّ باللّغات اليوميّة، حيث قام بتأسيس فلسفة ذات جذور تداوليّة بعدما أحسّ أنّ اللّغة ليست مجرّد قواعد تبنى بها الجمل، بل هي تعبير عن الواقع ودلالة عليه في الدّرجة الأولى. [2] وكانت أعماله منطلقات لنشأة التداوليّة.

في حين نجد الظاهراتيّة اللّغويّة من أبرز روادها الفيلسوف الألماني "إدموند هوسرل"، و يعود الفضل للظاهراتيّة في اكتشاف **القصديّة** التي تعدّ من أبرز الجوانب التداوليّة غير أنّ الفلسفة أغرقت في مسائل بعيدة عن الاستعمال اللّغوي بسبب نزعتها اللغويّة، فقد انغمست في البحث في أطر فكرية من الكينونة اللغويّة، ومن ثمّ فهي اتّجاه غير تداولي ولكن هذا الموقف النّقدي ينبغي ألّا ينسينا أنّ الفلسفة الظاهراتيّة قد جاءت بمبدأ إجرائي جدّ مفيد في اللّسانيات التداولية وهو مبدأ "**القصدية**".[3]

---

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 21.

[2] ينظر: محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللّغة، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنشر، الإسكندريّة، دط، ص 128.

[3] مسعود صحراوي: مرجع سابق، ص 23.

أمّا فلسفة اللّغة العاديّة فرائدها هو الفيلسوف النمساوي" **لودفيغ فيتجنشتاين**" وقد اهتمّت هذه الفلسفة بالحديث عن طبيعة اللّغة، وترى أنّ المعنى ليس ثابتا ولا محدّدا، وتعدّ اللّغة الأساسيّة للفلسفة في نظر"**فيتجنشتاين**" ولهذا أعطى لها أهميّة بالغة لأنّه يعتقد أنّ إهمال الفلاسفة للّغة وسوء فهمهم لها أدّى إلى تلك التّناقضات والخلاف بينهم.[1]

وقد عدّ "فيتجنشتاين" اللّغة لعبة وأداة، حيث تتعدّد معاني الكلمات بتعدّد استخدامها في اللّغة العاديّة وفي السيّاقات اللّغويّة التي ترد فيها، فاللّغة عنده ليست كالرجل الصارم يعرف دائما ما يريد ويفعل دائما طبعا محدّدة وإنّما كرجل فضفاض متفائل له مناشط متعدّدة يتلاعب بما لديه من أدوات دون هرامة أو خطة محكمة يسير وفقها في فلسفة اللّغة.[2]

إذن فاللّغة مرنة بعيدة عن الجمود لها القدرة على مواكبة هذا التنوّع من الأغراض.[3]

---

[1] ينظر:مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 23.

[2] محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللّغة ، ص 106، 107.

[3] جمال حمود: فلسفة اللّغة عند لودفيغ فيتجنشتاين، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 1430هـ، 2009م، ص307.

وقد لخّص "مسعود صحراوي" موقع هذه الاتّجاهات من التداوليّة وموقفها منها في المخطّط التالي:[1]

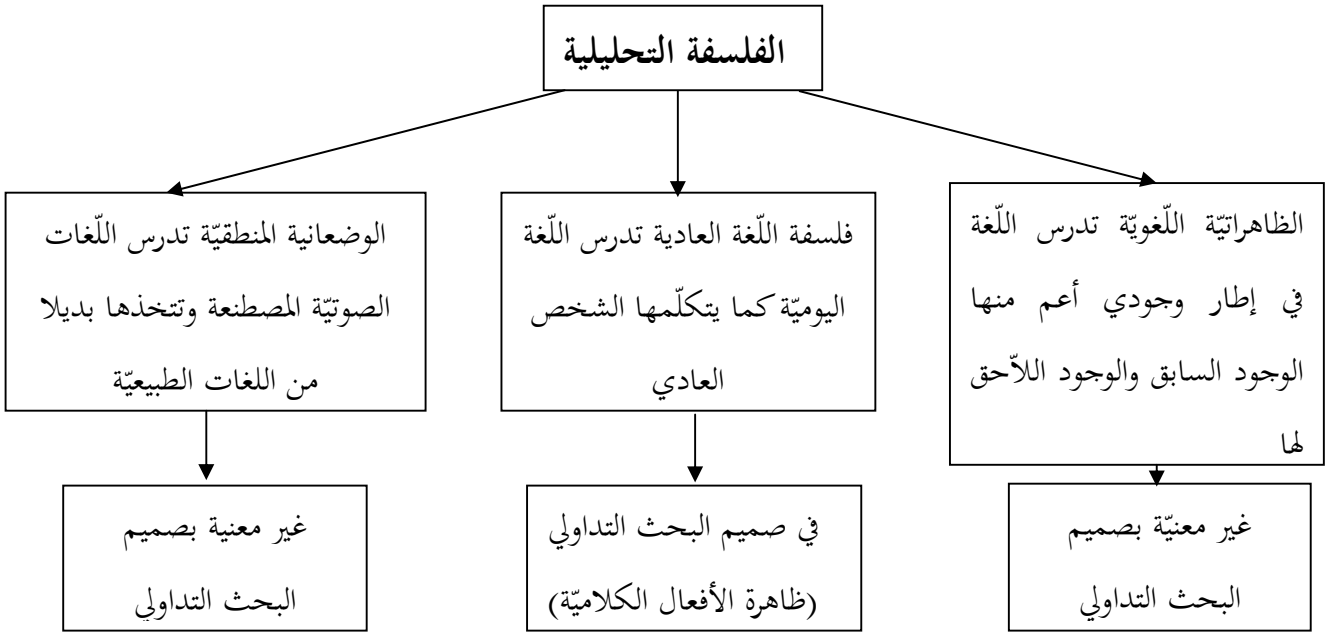

من خلال المخطّط يتّضح لنا أنّ كل من الظاهراتيّة والوضعانيّة المنطقيّة غير معنيّين بالبحث التداولي أي خرجا عن التداوليّة، في حين فلسفة اللّغة العادية الذي مادّتها الأساسيّة هيّ اللّغة وهي المعنيّة بالبحث التّداولي وعلى أساسها انبثقت الأفعال الكلامية ل **أوستين**.

ولقد اكتسبت أعمال "**فيتجنشتاين**" مكانتها الحقيقيّة بعدما تبنّاها فلاسفة مدرسة أكسفورد حيث تأثروا بها تأثّرا كبيرا وخاصّة "أوستين" وقد بدا أثر" **فيتجنشتاين**" واضحا في كتابه "عندما يكون القول هو الفعل" وتلميذه **سيرل** في استلهامه لبعض أفكار هذا الفيلسوف واتّخاذها معايير وأسس في **دراسة "القوى المتضمّنة في الفعل"**.[2]

[1] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب ، ص 24.

[2] المرجع نفسه: ص24.

وكانت بداية اللّسانيّات التداوليّة بنظريّة أفعال الكلام التي ظهرت مع "**جون أوستين**" وتطوّرت على يد "**جون سيرل**" وبعض فلاسفة اللّغة لتظهر بعده جملة من المفاهيم والنظريّات التي تشكّل مجتمعة ما يعرف ب "اللّسانيّات التداوليّة (**أفعال الكلام، الاستلزام، القصديّة**.....)".[1]

إذن فظهور التداوليّة ونشأتها في الفكر اللّساني الغربي الحديث أدّى إلى تجاوز دراسة اللّغة لذاتها ولأجل ذاتها إلى الاهتمام بمستخدمي اللّغة أثناء الاستعمال حيث نجد أنّها صارت تيارا موازيّا لتيّار البنيويّة وتيّار التوليديّة التحويليّة فقد اتّفق الدارسون على أنّ التداوليّة أصبحت مجالا يعتدّ به في الدّرس اللّغوي المعاصر إلّا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن طوّرها ثلاثة من فلاسفة اللّغة المنتمين إلى مدرسة أكسفورد هم (**أوستين، سيرل جرايس**).

و أوستين حينما ألقى محاضرات "**وليام جيمس**" 1955م لم يكن يهدف إلى وضع اختصاص أو فرع جديد للّسانيّات، وإنّما كان يرمي إلى وضع اتجاه فلسفي جديد وهو "**فلسفة اللّغة**" بيد أنّ تلك المحاضرات صارت بعدها وثيقة اللّسانيّات التداوليّة.[2]

ولاحظ أوستين أنّ كثير من الجمل التي لا يمكن أن تحكم عليها بالصّدق أو الكذب لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة إنّما تغيّرها أو تسعى إلى تغييرها، فجملة: آمرك بالصمت لا تصف واقعا بل تسعى لتغيير حالة الضجيج إلى الصّمت.[3]

---

[1] محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص 22.

[2] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص25.

[3] آن روبول، جاك موشلار:التداوليّة اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص30.

إذن في مجمل القول أنّ ما طرحه أوستين بخصوص أفعال الكلام فتح نقاشا واسعًا، شارك فيه مجموعة من الباحثين أمثال "**سيرل**" و "**غرايس**" وهذا هو الأمر الذي عمّق نظريّة أوستين وجعلها أكثر اتّساعا واستيعابا لجملة من القضايا المرتبطة بتداوليّة أفعال الكلام.

ولقد كانت جهود أوستين أرضية لتأسيس الأفعال الكلاميّة وقد كان ما قدّمه حول الفعل اللّغوي وخاصّة الفعل الإنجازي كافيّا لأن يكون نقطة انطلاق لتلميذه "**سيرل**"، وقد عمد سيرل إلى تطوير الشروط الملائمة عند أوستين.

ولقد ظهرت التداوليّة من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف تكمن في: **دراسة استعمال اللّغة** عوضا عن "**دراسة اللّغة**" فاللّسانيّات كما هو معلوم تتفرغ لدراسة ثانية، أي لدراسة المستويات الصوتيّة والتركيبيّة، وربّما الدلاليّة، فقد تحوّلت مع البنيويين إلى علم تجريدي مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة، يؤمن بكيانيّة البنية اللّغويّة في مستواها الصوري المجرّد، في حين أنّ دراسة استعمال اللّغة لا ينحصر ضمن الكينونة اللّغويّة بمعناها البنيوي الضيّق وإنّما تتجاوز إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقاميّة المختلفة حسب أغراض المتكلّمين وأحوال المخاطبين.[1]

كما جاءت أيضا لشرح كيفيّة جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات، ولشرح الأسباب التي أدّت إلى فشل المعالجة اللّسانيّة البنيويّة في معالجة الملفوظات وسعت إلى أن تكون مندمجة في اللّسانيات وهي ليست تكملة لها وإنّما جزء لا يتجزّأ منها، مع بيان أفضليّة التّواصل غير المباشر على التّواصل الحرفي المباشر.[2]

نستنتج ممّا سبق أنّ التداوليّة انبثقت من التفكير الفلسفي في اللّغة وتعود جذورها الأولى إلى فلاسفة اليونان "**سقراط، أرسطو، الرواقيون**" لكنّها لم تظهر إلى الوجود كنظريّة في الفلسفة إلّا على يد "**باركلي**" وكما نجد أن

---

[1] ينظر: مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص28.

[2] المرجع نفسه: ص 26.

الدرس التداولي تنوّعت مشاربه فلكلّ مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه مثل الأفعال الكلاميّة انبثقت من **الفلسفة التحليليّة** وكما تزامنت نشأتها مع ظهور مجموعة من العلوم: **الفلسفة واللّسانيّات وعلم النفس**.

كما نجد أنّ جهود أوستين أرضيّة لتأسيس الأفعال الكلاميّة وقد كان ما يقدّمه حول الفعل اللّغوي وخاصّة الفعل الإنجازي نقطة انطلاق تلميذه "سيرل".

إذن يعود الفضل في تطوير اللّسانيّات التداوليّة إلى كل من " **موريس" و"كارناب" وأوستين" و"سيرل**".

3- قضايا التداوليّة

إنّ اتّساع مجال اللّسانيات التداوليّة وتعدّد بيئة نشأتها جعل الإلمام بقضاياها وبأهمّ مبادئها أمرا مستعصيّا وذلك لأنّها أكثر اندماجا مع علوم أخرى، وقد لا نستطيع في هذا المبحث الإلمام بقضايا التداوليّة عموما وبالموضوعات التي صارت محدودة ضمن العنوان الكبير (**اللّسانيات التداوليّة**) وذلك للأسباب التي ذكرناها سابقا.

ومن القضايا التي تدرسها اللّسانيات التداوليّة: **أفعال الكلام، السياق، الاستلزام الحواري، الحجاج**.

3-1 أفعال الكلام

وهي الفكرة الأولى التي نشأت منها اللّسانيّات التداوليّة، والحديث عن التداوليّة يحيل مباشرة إلى أفعال الكلام التي هيّ أغراض بتعبير علمائنا القدامى، أو وظائف تواصليّة إبلاغيّة بتعبير الوظيفيّين المعاصرين، أو أفعال متضمّنة في القول عند التداوليّين وسنتناولها بالتّفصيل في الفصل الأوّل.

3-2 السيّاق:

إنّ إشكاليّة تحديد المعنى من أهمّ المواضيع التي خاض في غمارها اللّغويّون من أجل الوصول الجيّد للمعاني التي تحملها الكلمات، مفردة أو في إطار انتظامها في جمل أو نصوص مختلفة فلقد اهتمّوا بالكلمة ومعناها في

إطار تعريفاتها في المعاجم والقواميس، ولكن فيما بعد أدركوا أنّه من المستحيل أنّ ترد جميع معاني المفردات من خلالها، لأنّ المعجم لا يستطيع إحصاء جميع معانيها وسياقاتها المختلفة، فاللّغة في تطوّر مستمر، فنجد معانٍ تموت ويستغنى عنها، وهناك مفردات تكتسب معاني جديدة بحسب السياقات التي ترد فيها.

ولعلّ للسيّاق دور هام في تحديد مفهوم الكلمة، فبحسب سيّاق الكلمة يتحدّد مفهومها.

فنجد أنّ المعاجم والقواميس العربيّة تناولت مصطلح السيّاق بشكل متفاوت، جاء في لسان العرب: « سَوَقَ: السوق معروف ساق الإبل، وغيرها يسوقها سوق وسياقًا وهو سائق وسوّاق.... وقد تناسقت وتساوقت الإبل إذ تتابعت... وساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها والسيّاق المهر... وساق بنفسه سياقًا نزع بها عند الموت تقول رأيت فلان يسوق سوقا ينزع نزعا عند الموت تعني الموت... والسيّاق نزع الروح».[1] ومن خلال هذا التعريف لابن منظور يتّضح أنّ معنى السيّاق عنده جاء على ثلاث معاني: قاد، أعطى، نزع.

أمّا السيّاق من الناحيّة التداوليّة فقد عرّفه **"ولسن"** أنّه: «جزء صغير من المحيط المعرفي لفرد ما في لحظة ما فهو كذلك ليس أمرًا معطى دفعة واحدة إنّما يتشكّل قولا إثر قول، يتشكّل السيّاق في المقدّمات المنطقيّة انطلاقا من مصادر شتى كالمعارف الموسوعيّة وإدراك المقام وتأويل الأقوال السابقة».[2]

وعرّف ب أنّه «علامات شكليّة تكون في المحيط اللّساني الفعلي».[3]

ونظرا لسعة هذا المدلول أحجم آخرون عند تحديده فقالوا: « **السيّاق مفهوم مركزي يمتلك طابعه التّداولي ولكنّنا لا نعرف أين يبدأ وأين ينتهي**».[4]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، المجلد 7، ص 305.

[2] ينظر: آن روبول ، جاك موشلار: التداوليّة اليوم علم جديد في التواصل، ص 77.

[3] خليفة بوجادي: في اللّسانيات التداوليّة، ص 114.

[4] المرجع نفسه، ص 115.

ولقد تعدّدت أنواعه فنجد: **السيّاق الظّرفي أو الفعلي، السياق التداولي (الموقفي) السيّاق الاقتضائي السيّاق اللّغوي، السيّاق غير اللّغوي،** إلى **جانب السيّاق الثقافي أو العاطفي.**

3-3 الاستلزام الحواري:

الاستلزام الحواري من أبرز المفاهيم في الدرس التداولي الغربي، وتعدّ نظريّة الاستلزام الحواري من أكثر النظريّات التداوليّة المطبقة على الخطابات.

ويعود الفضل في نشأتها إلى المحاضرات التي ألقاها غرايس grice في جامعة هارفارد سنة 1967م فقد قدّم في تصوّره لهذا الجانب من الدّراسة والأسس المنهجيّة العامّة التي يقوم عليها.[1]

فقد حاول أن يضع نحوا قائما على أسس تداوليّة للخطاب تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسّسة لعملية التخاطب فهو يؤكّد أنّ التأويل الدلالي للعبارات في اللّغات الطبيعيّة أمر متعذّر إذ نظر فيه فقط إلى الشكل الظاهري.[2]

ولقد قام "غرايس" ببلورة مبدأ عام سمّاه مبدأ التّعاون وهو مبدأ يقضي بتعاون المتخاطبين المرسل والمرسل إليه وهو مبدأ عام يضمّ تحته أربعة قواعد فرعيّة:

قاعدة الكمّ، قاعدة الكيف، قاعدة العلاقة أو الورود الملائمة، قاعدة الجهة أو الكيفيّة.[3]

إذن تعدّ هذه القواعد التي صاغها "غرايس" أساسيّة في كلّ حوار بين المتخاطبين أو المتحاورين وهي تستهدف وجهة نظره، وقد وقع التركيز عليها لأن كلامنا في الحقيقة ذو بعد حواري بالأساس، وهذا البعد يشمل جميع أنواع الخطاب (الشفهي والمكتوب).

---

[1] محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص 32.

[2] العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني، دار الأمان، الرباط، ط1، 1432هـ- 2011م، ص15.

[3] المرجع نفسه: ص 100.

وعلى الإجمال يبقى الاستلزام الحواري من أبرز الظواهر التي تميّز اللّغات الطبيعيّة على اعتبار أنّه في الكثير من الأحيان نلاحظ أثناء عملية التخاطب أنّ معنى العديد من الجمل إذا روعي ارتباطها بمقام إنجازها لا ينحصر فيما تدلّ عليه صيّغها الصوريّة.

يعني هذا التأويل الدّلالي الكافي للكثير من الجمل يصبح متعذّرا إذا تمّ الاقتصار فيه فقط على المعطيات الظاهرة، الأمر الذي يتطلّب تأويلا دلاليّا آخر وهذا الانتقال من المعنى الصّريح إلى معنى غير مصرّح به(مستلزم حواريا) يطرح العديد من الإشكاليّات تتعلّق بماهيّة التأويل هل يعتمد المعنى الصريح وحده؟ أم هل يعتمد الصريح والمعنى المستلزم معا بناءًا على أنّ الثاني مترتّب عن الأول ثمّ كيف تتمّ عملية الاستلزام هذه أي كيف يتمّ الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم حواريّا؟ وكيف يتمّ ضبط ومعرفة المعنى التي تخرج إليه جملة محدّدة؟

فاستعمال جملة "ناولني الكتاب من فضلك" المنجزة في مقام محدّد يخرج بمعناها من الطلب (الأمر) إلى معنى الالتماس، وهو ما تفيده القرينة من فضلك.[1]

إذن حسب "غرايس" أنّه لابدّ من احترام القواعد الأربعة لضبط مسار الحوار لأنّه في حال ما تمّ تجاوز هذه القواعد أو الإخلال بها يؤدّي إلى اختلال العملية التواصليّة (الحواريّة)، بالإضافة إلى مبدأ التّعاون الذي هو سبيل لبلوغ مقاصدنا.

3- 4 الحجاج

اهتم الإنسان بالحجاج قديما وامتزج بالدراسات المنطقيّة والبلاغيّة والجدل والخطابة والفلسفة، وكثيرا ما ورد في الثقافتين الغربية والعربيّة بتسميّات الجدل والتناظر...ولقد دعت الحاجة إليه من أجل تحقيق الإقناع والتأثير والإفادة في الخطاب الإنساني حيث دعت الحاجة إلى وجوده كميزة من مميزات هذا الخطاب في النّصوص أو الخطابات الموجّهة.

---

[1] العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني، ص 18، 19.

– مفهوم الحجاج

– لغة:

نجد أنّ ابن منظور أشار إليه في لسان العرب فقال: «الحجّة ما وقع به الخصم ورجل مِحجاج أي جدل، التحاجج: التّخاصم وأحتجّ بالشيء: أتّخذه حجّة...حجّة يحجّه حجّا: غلبه على حجّته...فأنا حجيجه أي محاجّه ومغالبه لإظهار الحجّة عليه... والحجّة الدليل والبرهان...».[1]

إذن فالحجّة عنده من البرهان والدليل والحجاج مأخوذ من الخصام والنّزاع باستعمال أدلّة وحجج وبراهين يتّخذها المحاجج للتغلّب على خصمه.

أمّا الجرجاني فقد عرّف الحجّة في معجمه التعريفات بقوله: « الحجّة ما دلّ به على صحّة الدعوى وقيل الحجّة والدليل واحد».[2]

إذن هنا أساس الحجاج هو التركيز على الدليل من أجل إثبات قضية ما أو من أجل بناء موقف معيّن.

– اصطلاحا:

نجد أنّ مفهوم الحجاج اصطلاحا يختلف من دائرة لأخرى، فلقد تعدّدت روافده المعرفيّة بتعدّد مجالات اهتماماتهم، ولقد تداولت عليه جملة من المفاهيم تتباين بحسب الحقل الذي توظّف فيه سواءا كان فلسفيا أو بلاغيّا، هذا ما جعل الدّلالات مختلفة ومتّسعة من دراسة لأخرى.

ونجد أنّ الدراسات المعاصرة عند الغرب قد نالت نصيبا عند ثلّة من الباحثين الذين أسهموا بشكل كبير في تقمّص نظرة جديدة للدرس الحجاجي، وهذا استنادا للدرس الحجاجي القديم، ولقد تعدّدت أسماء الباحثين في هذا المجال: **بيرلمان وتتيكا، ديكرو وأسكمبر، تولمين.**

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مج 2، مادة حجج،ص 288.

[2] الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الإيمان،الإسكندريّة، مصر، دط، 2004، ص73.

– **الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا perlaman et tyteca** لقد أسهمت بحوثهما في كشف جوانب عميقة من البلاغة تأمّلا في اللّغة والفكر لاسيما من خلال كتاب **شايم بيرلمان** بعنوان "**البلاغة**" الجديدة وكتاب آخر ألّفه بالاشتراك مع **تيتيكا** بعنوان "**دراسة الحجاج**" الذي درس فيه التقنيّات التي من شأنها أن تؤذي بالأذهان إلى التسليم بالموضوعات المعروفة عليها أو تزيد درجة ذلك التسليم.[1]

– **الحجاج عند ديكرو وأسكمبر amscombre et ducrot** حيث عرض مفهوم الحجاج وآلياته من خلال كتابهما **l'argumentation dans la langue** في 1983 م ويختلف عن المفهومات السابقة لأنّه حجاج لساني لغوي، بحث أي حصرا في اللّغة ودراستها دون الاهتمام بما هو خارجها.[2]

– **الحجاج عند تولمين B Toulmin** حيث يمكن استخلاص مفهوم الحجاج من خلال بحثه المقدّم 1985م بعنوان the uses of argumente الذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحجاجيّة ليس مجرّد تتابع للقضايا بل تفاعلا بين الأطراف المسهمة في المحادثة.[3]

إذن لقد اختلف مفهوم الحجاج من شخص لآخر من وظيفة لأخرى وذلك حسب المنطلقات وحسب آراء أصحابها وخلفياتهم المعرفيّة.

وتمثّلت جهود الدارسين العرب المحدثين في دراسة الحجاج في جهود مجموعة من الباحثين منهم: "الدكتور طه عبد الرحمن".

---

[1] خليفة بوجادي: في اللّسانيات التداولية، ص 106، 107.

[2] المرجع نفسه، ص 111.

[3] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت– لبنان، ط2، 2007.ص 29.

-يعرّف الدكتور طه عبد الرحمن الحجاج بأنّه: «كل منطوق موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها».[1]

إذن هو وقف على الحدّ الشّكلي الظاهري للحجاج أي التّلفّظ ثمّ الإفهام والتّواصل.

- السلالم الحجاجية: السلم الحجاجي هو: «مجموعة غير فارغة من الأقوال المزوّدة بعلاقة ترتيبيّة» ويتّسم السلم الحجاجي بسمتين:

- كلّ قول يقع في مرتبة ما من السلّم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

- كل قول في السلّم كان دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى.[2]

4- علاقة التداوليّة بالعلوم الأخرى

إنّ اهتمام التداوليّة بدراسة اللّغة جعلها تلتقي مع مجموعة من العلوم والتخصّصات الأخرى ذات الصّلة المباشرة باللّغة، من بينها: اللّسانيّات البنيويّة، علم الدّلالة، اللّسانيات الاجتماعيّة، علم الاجتماع، الفلسفة السيميائيّة....

وهذا ما ذهب إليه "فرانسوا أرمينكو" في قوله: «ونكاد نرى جيّدا، على العكس من ذلك، إلى أيّ حدّ تكون التداوليّة مفترق طرق غنيّة لتداخل اختصاصات اللّسانيين، المناطقة، السيميائيين، الفلاسفة...فنظم التقاطعات هو نظام للإلتقاءات وللافتراقات».[3]

---

[1] طه عبد الرحمن: اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 2000،ص 266.

[2] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1998. ص 105.

[3] فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداوليّة، ص11.

وفيما يلي سنحاول تحديد بعض النقاط التي تلتقي وتختلف فيها التداوليّة مع بعض التخصّصات للكشف على العلاقات القائمة بينها وبين علوم أخرى:

4-1 التداوليّة وعلاقتها باللّسانيّات البنيويّة

تهتمّ التداوليّة بدراسة اللّغة بعلاقتها مع مفسّريها، كما تهتمّ بدراسة الكلام الذي كان مهملا عند البنيويّين وهو الجانب الذي أبعده اللّساني الشهير "فرديناند دوسوسير" من مجال دراسته لثنائيّة (اللغة/ الكلام)، حيث اعتبر اللّغة نظاما مغلقا تتمّ دراسته بعيدا عن كلّ المؤثّرات الخارجيّة، كما أنّها ظاهرة إجتماعيّة أمّا الكلام فهو التأديّة الفرديّة لها.

وهو بذلك يلغي كل الخصائص الفرديّة التي تطبع ذلك النّظام أثناء الأداء، حسب قوله: «اللّغة تختلف عن الكلام في أنّها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلّة».[1]

وهذا ما يوحي إلى أنّ اللّسانيّات البنيويّة تدرس اللّغة في بنيتها المغلقة على عكس التداوليّة التي اهتمّت بمقاصد ونوايا المتكلّم في إطار سياق تلفّظه، لكن هذا لا يعني أنّ الكلام (التداوليّة) بعيدا كل البعد عن اللّغة (البنيويّة).

«فاللّغة لا تتحقّق إلّا في مستوى الكلام، وتبقى حاملة لأهمّ خصائص من يؤديها... فالكلام إذا مظهر من مظاهر تحقّق اللّغة واقعا، ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة، والتّداخل واضح بينهما، ممّا يفرض الحاجة إلى دراسة متكاملة».[2]

---

[1] فرديناند دوسوسير: علم اللّغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر، بيت الموصل، بغداد، دط، دت، ص 33.

[2] خليفة بوجادي: في اللّسانيّات التداوليّة ، ص 123.

فكلّ منهما بحاجة للآخر وهذا ما يلمّح إلى أنّ الكلام ليس معزولا عن اللّغة إلّا افتراضا، لأنّه لا كلام دون لغة ولا لغة دون كلام، وهذا أشبه بأن يكونا وجهان لعملة واحدة، وما يجعلهما مختلفين إنّما هو منهج الدّراسة.

فالبنيويّة تهتمّ بوصف اللّغة باعتبارها مجموعة من القوانين المنتظمة بمعزل عن كل ما يحيط بها وهي بذلك تلغي خاصيّة اللّغة التواصليّة والتأثيريّة، أمّا التداوليّة فتهتمّ بدراسة اللّغة أثناء الاستعمال مركزة في ذلك على دور اللّغة في عمليّة التبليغ بهدف تحقيق التّواصل ومن ثمّة التّأثير على متلقّي الخطاب.

4-2 التداوليّة وعلاقتها بعلم الدّلالة:

تعدّ كل من التداوليّة والدلالة علمين مترابطين لأنّهما يشتركان في اهتمامهما بدراسة المعنى في اللّغة.

يرى اللّغوي "شاهر الحسن" أنّه لا يصحّ حصر الدّلالة في دراسة المعنى بمعزل عن السيّاق فالسيمانتيكية تعالج معنى الجملة في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، بينما البرجماتيّة اللّغوية تتولّى المعنى ضمن إطار المقام المحدّد المعالم والمقاصد.[1]

بمعنى أنّ علم الدلالة يصنّف ضمن القدرة على معرفة اللّغة، والتداوليّة فتصنف ضمن الأداء والإنجاز واستخدام اللّغة، وهذا يعني أنّ أحدهما يكمّل الآخر، كما يتّضح التّداخل والتّكامل بينهما.

التداوليّة تبدأ من حيث تبدأ الدلالة، حيث تقوم الدّلالة بتفسير الملفوظات وتحديد معانيها الحرفيّة، دون الإشارة إلى المقام، ودون الاهتمام بمقاصد المتكلّمين، ثمّ تأتي التداوليّة لربط مقاصد المتكلّمين بالمقام المناسب لهم مراعيّة في ذلك شروط نجاح أو إخفاق العبارات الكلاميّة في إطار السياق الذي ترد فيه.[2]

---

[1] شاهر الحسن: علم الدلالة السيمنتيكيّة والبراجماتيّة في اللّغة العربية، دار الفكر، عمان، ط1، 1422هـ- 2001م، ص 160.

[2] فان دايك: علم النص، تر: سعيد حسن بحري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 1421هـ- 2001 م، ص 116.

لكن اشتراك كل من التداوليّة والدلالة في موضوع دراسة المعنى يضفي كثيرا من الغموض حيال تحليل المعنى الذي تؤدّيه اللّغات، فهما يختلفان في العناية بجوانبه،لأنّ الدلالة تدرس المعنى بمعزل عن السيّاق وبعيدا عن المقامات التخاطبيّة، أمّا التداوليّة فتدرس المعنى في سيّاق الاستعمال، وتبحث في سبل استخدامه في الجملة.[1]

ومنه يمكن أن نقول بأنّ الدلالة تبحث في المعنى بعيدا نوعا ما عن السيّاق الحقيقي الذي يرد فيه، وهذا التمايز يعني استقلال أحدهما عن الآخر بقدر ما يعني تكامل الجانبين.

4-3 التداولية وعلاقتها باللّسانيات الاجتماعيّة:

يعدّ إبداع العلاقات الاجتماعيّة من الأهداف النفعيّة للاستعمال اللّغوي، فكثيرا ما تتبلور علاقات الناس من خلال إنجازهم لأفعالهم اللّغويّة.

فبما أنّ اللّغة هي الشفرة الرمزيّة المهيمنة في العمليّة التواصليّة، فإنه قد يكون من المفيد أن تدرس العمليّات التواصليّة من وجهة نظر تداوليّة.[2]

هذا يعني أنّ الدرس اللّغوي التداولي يدرس المنجز اللّغوي في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه، لأنّ اللّغة لا تؤدّي وظائفها إلّا فيه.

وبما أنّ التداوليّة تقوم على دراسة استعمال اللّغة وعلاقتها بمستعملها فإنّها تتشارك مع اللّسانيّات الاجتماعيّة«في بيان أثر العلاقات الاجتماعيّة بين المشاركين في الحديث، على موضوعه وبيان مراتبهم وأجناسهم وأثر السيّاق غير اللّغوي في اختيار التنوّعات اللّغويّة البارزة في كلامهم ».[3]

---

[1] محمد يونس علي: مقدمة في علم الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004. ص13.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 25.

[3] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداوليّة، ص 132-133 .

وعليه فالعلاقة بين التداوليّة واللّسانيات الاجتماعيّة هي علاقة تداخل وتكامل، لأنّ التداوليّة تدرس اللّغة في الاستعمال واللسانيّات الاجتماعيّة تدرسها في علاقتها مع المجتمع، وأنّ الكلام يحدث في سيّاقات اجتماعيّة إذا فالعلمين يكملان بعضهما البعض.

4- 4 التداولية وعلاقتها بالعملية التعليمية

استفادت التعليميّة من الدرس التّداولي في عمليّة التعليم من حيث مناهجه وتطبيقاته، حيث انتقل التعليم من مجرّد الاهتمام بتلقين الكفاءات إلى التركيز على أداء المتعلّم.

« حيث تأكّد بأنّ التعليم لا يقوم على تعليم البنى اللّغويّة دون الممارسة الميدانيّة التي تسمح للمتعلّم بالتعرّف على قيّم الأقوال وكميّات الكلام، ودلالات العبارات في مجال استخدامها، إلى جانب أغراض المتكلّم ومقاصده، التي لا تتّضح إلّا في سياقات مشروطة».[1]

بمعنى أنّ التداوليّة أتاحت للتعليميّة مجال استعمال مبدأ الأداء في العمليّة التعليميّة دون الاقتصار على القواعد النحويّة، وهذا ما يساعد المتعلّم في إبراز أغراضه المختلفة خاصّة في الحصص التعبيريّة.

كما عُدّ البعد التداولي أحد منابع العمليّة التعليميّة، إذ بفضله تجاوز التعليم مهمّة التلقين إلى مهمّة التحصيل وذلك بتعليم المتعلّم ما يحتاج إليه.

يقول "**الجيلالي دلاش**" في هذا الصّدد: «هناك شعار واحد يشغل أهل هذا الاختصاص الملكة والتبليغ أي تزويد المتعلّم أو المتعلّمين بالأدوات التي تمكّنهم من التحرّك بواسطة الكلام تحرّكا يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها، إنّ الأمر لم يعد يتعلّق بتلقين بنية نحويّة معيّنة بل إنّه يتعلّق بتوفير الوسائل اللّسانيّة التي تسمح للمتعلّم بإجراء اختيار بين مختلف الأقوال وذلك بحسب المقام».[2]

---

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداوليّة، ص 133 .

[2] الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداوليّة، تر: محمد يحياتين، ديوان المطبوعات المركزيّة، بن عكنون، الجزائر، دط، 1992، ص46.

ظهر من خلال هذا القول أنّ اللّسانيّات التداوليّة قد ساهمت بشكل كبير في العمليّة التعليميّة بدعوة "الجيلالي دلاش" إلى ضرورة استثمار القواعد والقوانين اللّغويّة حسب ما تتطلّبه المواقف الكلاميّة.

ومنه فالتعليميّة تتشارك مع التداوليّة في تركيزها على الملكة والتبليغ والسيّاق.

الفصل الأول

نظرية أفعال الكلام

1- تعريف الأفعال الكلاميّة

انطلاقا من مفهوم التداوليّة المبني على أساس أنّها نظريّة تبحث في علاقة العلامة بمستعمليها، متجاوزة بذلك استعمال اللّغة إلى الإنجاز، فإنّ الحديث عن التداوليّة يحيل مباشرة إلى الحديث عن أفعال الكلام، لأنّها تعكس لنا الجانب المادي للأعمال التداوليّة.

حيث يعرّف **مسعود صحراوي** الفعل الكلامي:« بأنّه نواة مركزة في الكثير من الأعمال التداولية وفحواه أنّه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعدّ نشاطا ماديّا نحويا يتوسل أفعالا قوليّة لتحقيق أغراض إنجازية، كالطلب والأمر والوعد والوعيد...إلخ، وغايات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقّي كالرفض والقبول».[1]

هذا يعني أنّ **الفعل الكلامي** فعل تأثيري، يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب داخل المجتمع وبالتالي إنجاز شيء ما، وهذا ما يحيل إلى أنّ **الأفعال الكلاميّة** هي الأساس الذي انبثقت منه التداولية، وأنّها نظام شكلي دلالي يُرسل أفعالا تأثيرية تخصّ المتلقّي.

كما أنّ **الفعل الكلامي** هو النطق ببعض الألفاظ والكلمات التي أدّت إلى إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة، متّصلة على نحو ما بمعجم معيّن، ومرتبطة به، ومتمشيّة معه، وخاضعة لنظامه.[2]

أي أنّه لكي ننجز فعلا كلاميّا يجب أن نؤدّي فعلا صوتيّا، فالفعل الكلامي مثله مثل الفعل الصوتي يمكن أن يُحاكي وأن يقلّد كما يمكن أن يتجدّد حصوله.

---

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص40.

[2] أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، 1991م، ص 116.

كما تعدّ الأفعال الكلاميّة أحد أهمّ المفاهيم التداوليّة، التي ظهرت كنظريّة فلسفيّة لغويّة، وقد أرسى معالمها الفيلسوف الإنجليزي **"جون أوستين"John Austin**، إذ ركّز في دراسته على اللّغة في حالة الاستعمال، ودقّق أكثر في الفعل الإنجازي، باعتباره قوام عمليّة التواصل اللّغوي.

ثمّ عرّفت بعد ذلك تطورات مع **"سيرل" " وفان دايك"** وغيرهم، ولكن بعد هذا التطوّر عرفت هذه النظريّة تعددية مصطلحيّة في الفكر التّداولي الغربي وكذا العربي.[1]

2- الأفعال الكلامية في الدّراسات الغربية:

تعدّ الأفعال الكلاميّة من أهمّ النظريّات اللّسانيّة التي طرحتها التداوليّة، ومن أبرز القضايا اللّغويّة المرتبطة بميدان الاستعمال والتفاعل الفكري والتواصل الاجتماعي، لذا لقيّت حظّا كبيرا من العناية والمعالجة العلميّة عند الغربييّن الذين بدؤوا بها بمنهجيّة بحثيّة ومعالجة تداوليّة حديثة.

حيث نجد أنّ مفهوم الأفعال الكلاميّة يرتبط في الدرس اللّغوي الغربي بجهود الفيلسوف "أوستين" مؤسّس نظريّة الأفعال الكلاميّة وبجهود تلميذه "سيرل" الذي قام بتطوير ووضع الأسس المنهجيّة لهذه النظريّة.

فقد مرّت هذه النظريّة في أثناء ظهورها بمرحلتين أساسيتين:

مرحلة التأسيس مع أوستين- ومرحلة البناء مع سيرل.[2]

2-1 أفعال الكلام عند أوستين (مرحلة التأسيس)

يعدّ جون أوستين J.Austin مؤسّس نظريّة أفعال الكلام وواضع المصطلح الذي تُعرف به الآن في الفلسفة وفي اللّسانيّات المعاصرة، وكان ذلك في المحاضرات التي ألقاها في جامعة أوكسفورد في العقد الثالث من القرن العشرين، ثمّ في المحاضرات الإثنتي عشرة التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955م ونشرت سنة 1962

---

[1] ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 21-22.

[2] محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص 59.

بعد موته في كتاب عنوانه: "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" "How to do things with word " والذي ترجم إلى الفرنسيّة عام 1970.[1]

وبالرّجوع إلى هذا الكتاب، يتبيّن لنا أنّ " أوستين" قام بتوظيف اللّغة الطبيعيّة، فأشار إلى أنّ أي لغة من اللّغات في عصر الإعلاميّات لم تبق لغة طبيعيّة، وإنّما أصبحت لغة تقنية يجب التّعامل معها بهذا المنظور، ومعنى كونها لغة تقنيّة أنها صارت اصطناعيّة تتحكّم فيها آليّات التخاطب والتّواصل المعاصرة.[2]

وفي توظيفه للغة الطبيعيّة وإلقاء المحاضرات كانت غاية "أوستين" من ذلك التصدّي للنظريّة الفلسفيّة المنطقيّة وفلاسفة اللّغة الوضعيّة الذين كانوا يرون اللّغة أداة رمزيّة تسير إلى الوقائع الموجودة في العالم الخارجي ووصف هذه الوقائع بعبارات إخباريّة، والتي يمكن الحكم عليها بمعيار الصّدق أو الكذب.

فهي صادقة إذا كان الوضع الذي تصفه قد تحقّق فعلا وكاذبة إن حصل غير ذلك، فالعبارة إن لم تكن مطابقة للواقع لا يمكننا الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وبالتالي فالعبارة لا معنى لها، وهذا ما دفع بأوستين إلى إنكار ذلك واعتبره نوعا من **المغالطة الوصفيّة**.[3]

كما أنكر "أوستين" فكرة أن تقتصر اللّغة على وصف وقائع العالم الخارجي، وصفا يكون إمّا صادقا أو كاذبا، بل تتعدّى ذلك إلى كونها أداة بناء العالم والتأثير فيه.

وهو في نظرته هذه متأثّر بأفكار الفيلسوف اللّغوي لودفيغ فيتنشتاين (1889- 1951م) صاحب فكرة (ألعاب اللّغة)، والذي يرى أنّ «وظيفة اللّغة لا تقتصر على مجرّد تقرير الوقائع أو وصفها، بل تتجاوزها إلى وظائف أخرى عديدة، كالاستفهام، الأمر،والتمني والشكر...إلخ، فاللّغة عنده ليست حسابا منطقيّا دقيقا ومجرّدا

---

[1] ينظر: محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص 60.

[2] جون أوستين: نظريّة أفعال الكلام، ص 5.

[3] آن روبول وجاك موشلار:التداوليّة اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دعفوس ومحمد الشيباني، ص 30.

لكلّ كلمة فيها معنى محدّدا، ولكلّ جملة منها معنى ثابتا، بل إنّ الكلمة الواحدة تتعدّد وتتنوّع معانيها بتعدّد وتنوع استخدامها، كما تتعدّد معاني الجمل بحسب السيّاقات التي ترد فيها، فالمعنى عنده هو الاستعمال».[1]

وبعبارة أخرى فإنّ وظيفة اللّغة «ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، وإنّما هي مؤسّسة تتكفّل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقيّة إلى أفعال ذات صبغة اجتماعيّة ».[2]

وقد قام الفيلسوف الإنجليزي جون أوستين بتقسيم الجملة إلى قسمين: **"وصفيّة"** و **"إنشائيّة"**، وبنى هذا التقسيم على أساس أنّ الجملة الإنشائيّة لا تصف أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب ولا يستعمل لوصف الواقع بل لتغييره، وعندما نتلفّظ بها ننجز عملا.[3]

ثمّ أعاد النّظر في هذا التقسيم، ورأى أنّ التقسيم السابق غير كاف، واقترح تقسيما آخر، فقسّم الجمل إلى: أفعال إنجازيّة أوّليّة، وأفعال إنجازيّة صريحة وذكر لهما مثالين هنا:

- أعدك أن أكون هناك.
- سأكون هناك.

فالمثال الأوّل صريح لأنّه يتضمّن الوعد، أمّا المثال الثاني فالمقام هو الذي يحدّد دلالته إذا كان وعدا أو لا و الإنجازات الصريحة أيسر في إدراك معناها.[4]

---

[1] محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي، ص 41، 42.

[2] عمر بلخير: نظرية تحليل الخطاب المسرحي: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظريّة التداوليّة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص 155.

[3] صابر الحباشة: التداوليّة والحجاج –مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، دط، 2008 ، ص 76.

[4] ينظر: محمود أحمد نخلة: مرجع سابق، ص 66.

ومن شروط نجاح الفعل الكلامي عند أوستين أنّ الجمل الإنشائيّة أو الأدائيّة وإن كانت لا تخضع لمعيار الصّدق أو الكذب، إلّا أنّها عند التلفّظ بها تكون إمّا موفقة أو غير موفقة، ولكي تكون الأفعال الكلاميّة لهذه الجمل موفقة وضع أوستين نوعين من الشروط، شروط الملاءمة والشروط القياسيّة.

أمّا شروط الملاءمة فهي أن تتمّ هذه الأفعال في وجود إجراء عرفي معيّن كما في الزّواج أو الطلاق مثلا، بأن يتضمّن الإجراء كلمات محدّدة ينطق بها أفراد معينون في ظروف معيّنة، أن يكون هؤلاء الأفراد مؤهّلين لتنفيذ هذا الإجراء، أن يكون التنفيذ صحيحا، كما يجب أن يكون التنفيذ كاملا[1] ، ويرى أوستين أنّه إذا تخلّف أحد شروط الملاءمة هذه يبطل إنجاز الفعل الكلامي.

وأمّا الشروط القياسيّة وهي أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في أفكاره وصادقا في مشاعره ونواياه، وأن يلتزم بما يلزم به نفسه.[2]

فأوستين يرى بأنّ مخالفة هذه الشروط القياسيّة لا تمنع حصول الفعل، وإنّما تسبّب سوء استعمال أو أداء الفعل.

لقد قام جون أوستين بتقسيم الفعل الكلامي، فقام بالتمييز بين ضروب ثلاثة للأفعال الكلاميّة وهي كالآتي:

- **فعل القول أو الفعل اللّفظي** Locutionaryact: وهو النطق ببعض الألفاظ أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة متّصلة على نحو ما بمعجم معيّن ومرتبطة به ومتمشّية معه وخاضعة لنظامه.

أي أنّه يتألّف من أصوات لغويّة تنتظم في تركيب نحوي سليم، ينتج عنه معنى محدّدا، هو المعنى الأصلي.

---

[1] ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي، ص 64.

[2] المرجع نفسه، ص 64.

وهذا الفعل دائما مع كلّ قول، لكنّه وإن أعطى معنى ذلك القول فإنّه يظلّ غير كاف لإدراكنا أبعاده ومعانيه.[1]

- **الفعل المتضمّن في القول:أو الفعل الإنجازي Illocutionaryact** : ويقصد به ما يؤديه الفعل اللّفظي أو الصّوتي من وظيفة في الاستعمال، فغاية المتكلّم التعبير عن معنى في نفسه كالأمر، الموافقة، القبول والنصح...إلخ.

وهذا القسم من الأفعال الكلاميّة أي الفعل الإنجازي، هو المقصود من النظريّة، حيث يسمّي أوستين الوظائف اللّسانيّة الكامنة خلف هذه الأفعال المتضمنة في القول بـ (القوة الإنجازية).

فالقوة الإنجازية للمثال التالي: (إنها ستمطر)_مثلا_تختلف باختلاف الظروف والمقام الذي ترد فيه، إذ يكون لها في موضع معين(قوة الخبر)، وفي موضع آخر(قوة التحذير)... وهكذا.[2]

– الفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري perlocutionaryact:« ويتمثل في إحداث تأثيرات ونتائج في المخاطبين، مثل: حثهم على القيام بفعل أو حثهم على الخوف أو الضحك أو الحزن أو غير ذلك».[3] و لا يمكن التنبؤ به لأن رد فعل المخاطب حينئذ قد يكون على عكس ما كان يتوقعه المتكلم.

وللتوضيح أكثر نأخذ هذا المثال: الأب مثلا وهو يقول لابنه"نظف أسنانك"ينجز فعلين بصفة متزامنة فهو ينجز فعلا قوليا يتمثل في نطقه بجملة نظف أسنانك، وينجز فعلا متضمنا في القول يتمثل في أمر ابنه

---

[1] أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات،ص 116.

[2] طالب سيد هاشم الطبطائي: نظرية الأفعال الكلامية في فلسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، دط 1994،ص 8.

[3] فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان،تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2007، ص59.

بتنظيف أسنانه والابن وهو يجيب"لا أشعر بالنعاس" ينجز فعل التأثير المتمثل في إقناع أبيه بإهمال تنظيف أسنانه بما أن النعاس لم يداعب أجفانه بعد.[1]

– وفيما بعد اقترح"أوستين" خمسة أصناف للأفعال الكلامية حيث قام بتجميعها وتصنيفها على النحو التالي:

1– الحكميات: (**Verdectives**) أو الأفعال اللغوية الدالة على الحكم وتتمثل في مختلف الأحكام التي يصدرها القضاة والحكام، وغيرهم...

2– التنفيذيات: (**exsercitives**) أو الممارسات: وهي الأفعال المعبرة عن اتخاذ القرارات، كالتعيين والعزل والطرد ونحوها.

3– الوعديات: (**commisives**) وتتمثل في مايقطعه المتكلم على نفسه من وعود وعهود نحو: أعد، ألتزم، أضمن...

4– السلوكيات: (**Behabitives**) وهي أفعال تعبر عن ردود أفعال وسلوكات، مثل: أعتذر،آسف، شكرا...

5– العرضيات: (**Expositives**) وهي الأفعال الدالة على العرض والإيضاح وبيان وجهات النظر، مثل: وافق، أنكر، أكد، استفهم...[2]

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها أوستين في محاولته دراسة الأفعال الكلامية وتصنيفها في إطار نظرية عامة وشاملة، إلا أننا نجده يعترف بنفسه أنه لم يستطع تحقيق ما سعى إليه، لأن تصنيفه للأفعال الكلامية لم يكن نهائيا ولم يكن قائما وفق معايير واضحة، وهو ما أدى إلى وجود نوع من الخلط والتداخل بين التصنيفات التي

---

[1] آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل،ص32.

[2] أوستين: نظرية الأفعال الكلامية، ص174، 175.

وضعها، كالتداخل الموجود بين الحكميات والتنفيذيات–مثلا– فهي لا تبدو واضحة تماما، إذ يمكن إدراج بعض أفعال الحكميات في التنفيذيات، والعكس كذلك صحيح.[1]

لكن وبالرغم من تلك النقائص فإن أوستين استطاع أن يحدد بعض المفاهيم الهامة في هذه النظرية، ومع ذلك فإنه استطاع أن يميز بين محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أداء هذا الفعل، وتمييزه بين ما تعنيه الجملة وما يعنيه المتكلم بنطقها، وكذا تمييزه بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأفعال الإنجازية الأولية، فضلا عن تحديده للفعل الإنجازي الذي يعد مفهوما محوريا في هذه النظرية.[2]

2–1 أفعال الكلام عند سيرل:(مرحلة البناء):

إن ما وضعه أوستين لم يكن كافيا لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، فحاول سيرل تطوير هذه النظرية انطلاقا من الأسس التي وضعها أستاذه أوستين، وقد كان ما قدمه من أعمال حول الفعل الإنجازي كافيا لأن ينطلق سيرل من هذه الأرضية فتكون هناك مراحل تكميلية للجهود السابقة.

فسيرل" بعد استفادته من دروس أستاذه أوستين اقترح بعض التعديلات وطور نظرية الأفعال اللغوية..."[3]، محاولا وضع الأسس المنهجية لهذه النظرية، معتمدا في ذلك على مبادئ فلاسفة اللغة العادية والتي تلخصها العبارة: (القول هو العمل).

والقول حسب وجهة نظره هو شكل من أشكال السلوك الاجتماعي الذي تضبطه قواعد، ويتم من خلاله إنجاز أربعة أفعال في نفس الوقت هي:

أ– فعل القول جـ– فعل الإنشاء

---

[1] ينظر:محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص70.

[2] الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ص25، 26.

[3] المرجع نفسه، ص25.

ب- فعل الإسناد د- فعل التأثير

ففعل القول (أ) يتمثل في التلفظ بكلمات وجمل، وأما فعل الإسناد (ب) فيسمح بربط الصلة بين المتكلم والسامع، فمثلا العبارة:(ابتعدوا عن هذا المكان) نجدها تحيل على(الأنا) و(الأنتم) مع الإسناد المتمثل في (الابتعاد عن المكان)، ففعل الإحالة وفعل الإسناد هما اللذان يشكلان القضية المعبر عنها والتي هي ليست بفعل كلام بعد. ومع فعل الإنشاء (ج)، يتحقق الفعل الإنشائي، أي القصد المعبر عنه في القول، فقد يكون القصد في هذا القول هو التحذير أو النصيحة أو الأمر...[1]

لقد شك سيرل في وجود أعمال تأثير بالقول، فهو لا يهتم بالأعمال القولية، وإنما يهتم بالأعمال المتضمنة في القول، وكان قد أسهم في التمييز بين (الفعل المتضمن في القول) و (فعل القضية) أو فعل التعبير عن القضية ويرى بأنه لا يمكن أن يقع نفس الفعل القضوي في أنواع مختلفة من الأفعال المتضمنة في القول، فمثلا في القولين التاليين:

- سوف آتي ⟵ إخبار
- سوف آتي ⟵ وعد

فسيرل يرى أن المحتوى القضوي* في هذين القولين واحد وهو (فعل الإتيان)، لكن الفعل المتضمن في القول في كل منهما مختلف عن الآخر.

ولذلك جرد (الفعل القضوي) على (الفعل المتضمن في القول).

---

[1] الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللّسانيّات التداوليّة، ص 25، 26.

*المحتوى القضوي: هو ما" يقال"(في مقابل ما نتحدّث في شأنه)هو عنصر من البيئة الدلاليّة للعمل القولي يتركّب من الجمل والإحالة، مثلا: أعدك بأنّي سأزورك" يعتبر لفظ "أعدك" واسما للقوّة اللاقوليّة "أنّا سأزورك" فهو اسم المحتوى القضوي.

ويميّز سيرل داخل الجملة نفسها بين ما يتّصل بالعمل المتضمّن في القول بمضمون العمل، وهو ما يسمّيه (اسم القوّة المتضمّنة في القول)، وبين ما يتّصل بمضمون العمل، وهو ما يسميّه: (اسم المحتوى القضوي).[1]

وفي المثال التالي: (أعدك بأن أحضر غدا).

فإنّ: (أعدك): هو اسم القوّة المتضمّنة في القول، وهي هنا (الوعد).

(وأحضر غدا): هو اسم المحتوى القضوي ، وهو هنا (فعل الحضور).

لقد قام سيرل بوضع شروط لنجاح الفعل الكلامي حيث قام بتحديد جملة من هذه الشروط التي بمقتضاها يكلّل العمل المتضمّن في القول بالنجاح، ثمّ قام بتطوير شروط الملاءمة عند أوستين فجعلها أربعة وهي:

1- شرط المحتوى القضوي:

هو المعنى الأصلي للقضيّة، ويتحقّق شرط المحتوى القضوي في فعل الوعد مثلا، إذا دلّ على حدث في المستقبل يلزم به المتكلّم نفسه.

2- الشرط التمهيدي:

ويتحقّق إذا كان المتكلّم قادرًا على إنجاز الفعل لكن لا يكون من الواضح عند المتكلّم والمخاطب أنّ الفعل المطلوب سوف ينجز في النحو المعتاد للأحداث أو لا ينجز.

3- شرط الإخلاص:

ويتحقّق حينما يكون المتكلّم مخلصا في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنّه قادر على فعل ما لا يستطيع.

---

[1] آن روبول وجاك موشلار: التداوليّة اليوم علم جديد في التواصل، ص 33.

4- الشرط الأساسي:

ويتحقّق هذا الشرط عندما يحاول المتكلّم التأثير في السامع لينجز الفعل.[1]

ثمّ قام سيرل بإعادة النّظر في تقسيم أوستين لأفعال الكلاميّة، وقد اعتمد في تقسيمها على ثلاثة أسس منهجيّة.

- الغرض الإنجازي.
- اتّجاه المطابقة.
- وشرط الإخلاص.

ثمّ جعلها على خمسة أصناف وهي:

1- الإخبارات: أو التقريرات (assertives) والهدف منها وصف واقعة معيّنة من خلال قضيّة وتتميّز باحتمالها الصدق والكذب، وباتّجاه المطابقة فيهما في القول إلى العالم بحيث يكون القول مطابقا للوقائع الموجودة في العالم الخارجي.[2]

2- التوجيهات: أو الطلبيّات (directives): والغرض منها حمل المخاطب على أداء فعل أو عمل معيّن ويكون اتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول،وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في الإرادة والرغبة الصادقة، والمحتوى القضوي فيها هو دائما فعل السامع شيئا في المستقبل.

3- الالتزامات: أو الوعديات (commissives): والغرض منها أن يلتزم المتكلّم بالقيام بعمل في المستقبل ويكون اتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول وشرط الإخلاص فيها هو القصد، والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلّم شيئا من المستقبل.

---

[1] محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص 74- 75.

[2] فيليب بلانشيه: التداوليّة من أوستين إلى غوفمان، ص 66.

4- التعبيريات: أو الإفصاحات (expressives): وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوفر فيه شرط الإخلاص، وليس في هذا الصنف اتّجاه مطابقة، فالمتكلّم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات. [1]

5- الإعلانيات: أو التصريحات (declaratives)، والغرض منها إحداث تغيير في العالم الخارجي وأهمّ ما يميّزها عن الأصناف الأخرى أنّها تحدث تغييرا في الوضع القائم، فضلا عن أنّها تقتضي عرفا غير لغوي.

واتّجاه المطابقة فيها قد يكون من الكلمات إلى العالم، أو من العالم إلى الكلمات ولا يحتاج إلى الشرط الإخلاص. [2]

كما قسّم "سيرل" الأفعال الكلاميّة إلى : أفعال مباشرة، وأفعال غير مباشرة:

الأفعال المباشرة: "وهي التي تكون معناها مطابقا لما يريد المتكلّم، أن تتوفّر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول"[3] فقد يتكلّم المخاطب بشكل صريح مباشر فيعبّر عن هدفه بألفاظ وعبارات بسيطة ومريحة.

الأفعال غير المباشرة: وفيها ينتقل المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي، وهي أفعال تحتاج إلى تأويل لإظهار قصدها الإنجازي كالاستعارة والكناية إذ تجبر المستمع على الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يسنده المتكلّم إلى قوله. [4]

ومن هنا نخلص إلى أنّ جهود "سيرل" في نظريّة أفعال الكلام قائمة على أسس منهجيّة محكمة ساهمت في إرساء قواعد الدرس التّداولي وتطويره.

---

[1] فيليب بلانشيه: التداوليّة من أوستين إلى غوفمان، ص 66.

[2] المرجع نفسه: ص 66.

[3] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص50.

[4] الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللّسانيّات التداوليّة، ص 28.

3- الأفعال الكلاميّة في الدراسات العربيّة

إن علماء العرب القدامى كانوا على وعي كبير بالجانب التداولي الإستعمالي للغة بالرغم من اختلاف تخصّصاتهم **اللّغويّة والنحويّة والبلاغيّة والأصوليّة**.

وإنّ دراسة هؤلاء العلماء لمعاني الكلام وجدت ضمن مباحث نظريّة **الخبر والإنشاء** إلى جانب اهتمامهم بالمقامات التخاطبيّة وأحوال مقاصد المتخاطبين كلّ هذا لا يختلف كثيرا لما تعرضه نظريّة الأفعال الكلاميّة في الدّرس اللّساني الغربي الحديث، وهذا ما ستعرض له الدراسة في هذا المطلب، مع بيان كيف تناول القدامى ظاهرتي الخبر والإنشاء مع التركيز على جهود النحاة والبلاغيين في دراستهم للأفعال الكلاميّة.

إذن تندرج ظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث العربي ضمن مباحث **علم المعاني** وتندرج تحديدا **–الأفعال الكلاميّة–** ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة ب **الخبر والإنشاء** وما يتعلّق بقضايا وفروع وتطبيقات تلك الظاهرة ولذلك تعتبر نظريّة الخبر والإنشاء عند العرب من الجانب المعرفي العام مكافئة لمفهوم **الأفعال الكلاميّة عند المعاصرين** وقد فضلنا في هذا المطلب الاصطلاح العربي **الخبر والإنشاء** بدلا من المصطلح الغربي أفعال الكلام وذلك للانسجام مع المصطلح الأصيل المتداول والبعد عن التشويش الاصطلاحي.

لقد كانت ظاهرة " الخبر والإنشاء" في التراث العربي حقلا مشتركا بين تخصّصات علميّة متعدّدة، فقد اشتغل ببحثها الفلاسفة والبلاغيّون والنحاة والأصوليّون.

وإنّ التمييز بين **الخبر والإنشاء** هو التّمييز بحسب الشّرط المبدئي المعروف والذي كان محلّ إجماع بين العلماء العرب في تلك المرحلة.

فالخبر: هو ما يقبل الصّدق و الكذب، والإنشاء خلافه وقد تعدّدت النّصوص المأثورة عن علماء تلك المرحلة من عمر البلاغة العربية وكثرت كثرة بالغة تدلّ على إجماعهم على ذلك. [1]

ولقد تعدّدت تقسيمات العرب القدامى للكلام وأضرب الخبر والإنشاء بوجه خاص، وهذا ما يتّضح أكثر في كتابات الأصوليّين والنّحاة والمتكلّمين والبلاغيين بشكل خاص، وعليه سنتحدّث عن تقسيمات العرب القدامى للكلام وأضرب الخبر والإنشاء بوجه خاص.

لقد توصّل العلماء إلى وضع معايير علميّة متفاوتة الدّقّة للتمييز بين الخبر والإنشاء ولعلّ آخر ما استقرّت عليه البلاغة العربيّة في مراحل نضجها هو التصوّر الذي يميّز بين الأسلوبيّن معيار "**القصد**" ومعيار "**إيجاد النسبة الخارجيّة**" فالمعيار الأوّل "تداولي" والثاني "معيار منطقي".[2] وسنحاول عرض التقسيمات لهذين الأسلوبيّين حسب مراحل تطوّر الدرس البلاغي العربي خصوصا والعلوم العربيّة عموما.

إنّ علماء العرب قسّموا اللّفظ المفيد إلى "خبر وإنشاء" ولكن وردت تقسيمات أخرى سنورد أهمّها فيما يلي:

تقسيم الفارابي: استطاع **أبو نصر الفارابي** (ت 339) في القرن العاشر للميلاد، وهو بصدد تقسيم أنواع "**المخاطبات**" أي صنّف العبارات الكلاميّة الصادرة عن الإنسان إلى صنفين كبيرين هما:

"**عبارات القول**" و "**عبارات الفعل**" وقد ابتدأ ممّا ابتدأ منه **أوستين** من اعتبار المخاطبات نوعين: «أقوالا وأفعالا تتمّ بالقول.» [3]

---

[1] ينظر: مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 59.

[2] المرجع نفسه: ص 45، 86.

[3] الفارابي أبو نصر: الحروف، تر: محمد مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 1990، ص 162.

تتمّ الأولى بمجرّد تحريك الشّفتين للتّواصل مع الآخر والتعبير عمّا في النفس، والثانيّة يراد بها إضافة إلى ذلك حمل المخاطب على فعل شيء ما، ويصرّح الفارابي قائلا: «... والقول الذي يقتضي به إنّما فعل شيء ما، والذي يقتضي به فعل شيء ما فمنه نداء، ومنه تضرّع، وطِلِبة وإذن، ومنه حثّ وكفّ، وأمر ونهي».[1]

ونجد أيضا أنّه بيّن أنّ «**النّطق بالقول هو فعل ما**».[2] يعني أن تقول تفعل، إذن نجد أنّ الفارابي التفت منذ ذلك العصر المبكّر إلى مفهوم "**الملفوظ الإنجازي**" الذي يتحدّث عنه أوستين وسيرل في عصرنا والذي كثيرا ما يقدّم على أنّه اكتشاف حديث في كلّ من الفلسفة التحليليّة والأبحاث التداوليّة المعاصرة.

وقد عبّر عنه الفارابي بلفظ "القوة" force الذي هو من مقولات التداوليّة المعاصرة. [3] ويقرّر في وضوح أنّ « القوّة أحد أنواع القول، قوّة السؤال عن الشيء».[4] ويقصد النّداء تحديدا أي أنّ "القوة الإنجازيّة" المحتواة في فعل النّداء هي نفسها المحتواة في (**فعل الاستفهام**) وهذا النّوع من الكلام يقتضي جوابا عند الفارابي، وبهذا يكون قد قارب رأي أوستين في أنّ من الأفعال الكلاميّة نوعا ثالثا سمّاه «الفعل الناتج عن القول **acte perlocutionnaire** أو الفعل التأثيري».[5]

وقد ربط الفارابي ذلك بأنّ لكل قوّة كلاميّة جوابا معيّنا ف «كلّ مخاطبة يقتضي بها شيء ما فلها جواب فجواب النّداء إقبال أو إعراض، وجواب التضرّع والطِلبة بذل أو منع، وجواب الأمر والنهي، وما شاكله طاعة أو معصيّة، وجواب السّؤال عن الشيء إيجاب أو سلب».[6]

---

[1] الفارابي أبو نصر: الحروف، ص 162.

[2] المرجع نفسه، ص162.

[3] ينظر: مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص87.

[4] الفارابي: مرجع سابق ، ص163.

[5] ينظر: مسعود صحراوي: مرجع سابق، ص 87، 88.

[6] الفارابي: مرجع سابق ، ص163، 164.

إنّ الملاحظ أنّنا نجد في مسالة التّمييز بين الخبر والإنشاء عند الفارابي أنّه يقارب تحليل التداوليّين المعاصرين في الانطلاق من الاعتبارات التداوليّة كقصد المتكلّم، ومراده من المخاطب والقوّة الإنجازيّة التي تحملها العبارة اللّغويّة.

وبذلك يكون التقسيم الإجمالي حسب ما استقر عليه جمهور العلماء، كما يوضّحه الشكل التالي:[1]

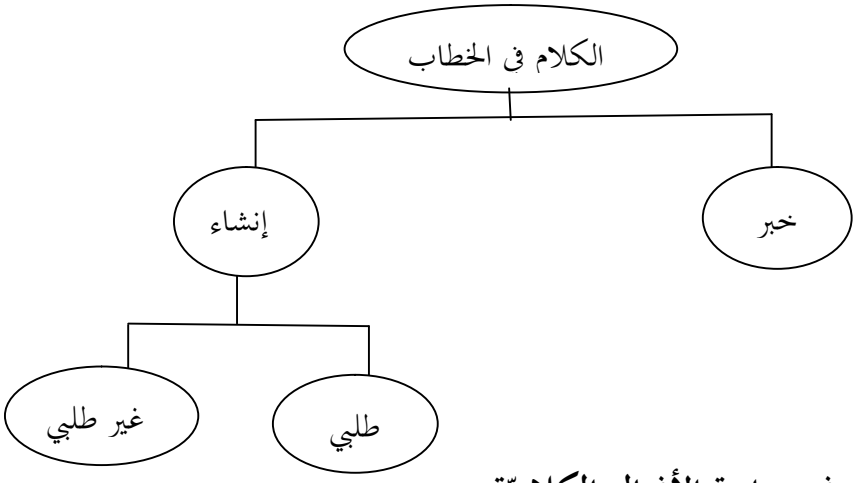

3-1 جهود البلاغيّن في دراسة الأفعال الكلاميّة

نجد أنّ ظاهرة الأفعال الكلاميّة هي ضمن علم المعاني كما أشرنا سابقا، وموضوع هذا العلم حسب السكاكي: «تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان... ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره».[2] وأفعال الكلام تندرج ضمن "الخبر والإنشاء".

واقتصرت دراسة هذه الظاهرة عند العلماء العرب على التراكيب المفيدة فقط وهو ما نفهمه من قول السكاكي الذي يوضّح أكثر «وأعني بخاصيّة التركيب ممّا يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى

[1] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 91.

[2] السكاكي أبو يعقوب: مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 1987،ص 160.

اللازم له».[1] يعني أنّ دراسة العرب اهتمّت بالتراكيب المفيدة ذات الدّلالات المباشرة (حرفية) أو غير المباشرة (ضمنيّة) ملازمة لها حسب قوله، أي تفهم منها، كما يركّز العلماء العرب على الإفادة في دراسة الجملة.[2]

كما نجد محمد بن علي الجرجاني اهتمّ بالقرينة التداوليّة "الإفادة" في تحديده لموضوع علم المعاني على أنّه «علم يعرف منه كيفية تطبيق أحوال الكلام العربي على أحوال المعنى بحسب مقتضى الوقت».[3]

كما اعتنى العلماء العرب (**لاسيما البلاغيين منهم**) بدراسة الإسناد دراسة مركّزة وكان العنوان الكبير لهذه الدراسة شديد الصلة بالنحو "**أحوال الإسناد الخبري وأحوال المسند، وأحوال المسند إليه**" واستبعدوا المركبات غير التامة في دراستهم أي الألفاظ المفردة لعدم إفادتها وتركوا البحث في دلالات هذه الألفاظ ل "علم الدلالة" و "علم المعاجم" وبهذا اشترطوا الفائدة من المخاطب.[4]

إذن فالعلماء العرب سبقوا في دراستهم على ما قام به التداوليّون المعاصرون، فهم لم يدرسوا إنجازيّة الأفعال بدون تحقّق إنجازيّتها في السيّاق عند استعمالها ولا يعدّونها أفعالا كلاميّة، لذلك فإنّ الظاهرة الأسلوبية عند العلماء العرب تندرج في إطار تداولي صريح.

إنّ العلماء العرب قسّموا اللّفظ المفيد إلى قسمين كبيرين هما: الخبر والإنشاء، ودراستهم كانت ثريّة بالأفكار والرؤى والمناهج المعتمدة في التمييز بين الأسلوبين.

---

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 51.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 51.

[3] المرجع نفسه ص 52.

[4] المرجع نفسه: ص52، 53.

ولكنّ البلاغيين العرب لم يكتفوا بالتّمييز الإجمالي العام بين **الخبر والإنشاء** بنوعيه: **الطلبي** و**غير الطلبي**، بل قسموا كل منها إلى أقسام فرعيّة تفصيليّة جديرة بالبحث، وهذا ما سنحاول مناقشته في الفقرات التاليّة:

– الخبر:

فنجد أنّ التقسيم المنسوب إلى الجاحظ يرى أنّ الخبر الذي يوصف ب "الصادق" من بين هذه الأنواع الستة هو ما يكون مطابقا للواقع مع اعتقاد صاحبه أنّه مطابق، وأنّ الذي يوصف ب "الكاذب" منها هو ما يكون غير مطابق للواقع مع اعتقاد صاحبه أنّه غير مطابق.[1]

والمخطط التالي يبيّن تقسيم الخبر عند الجاحظ:

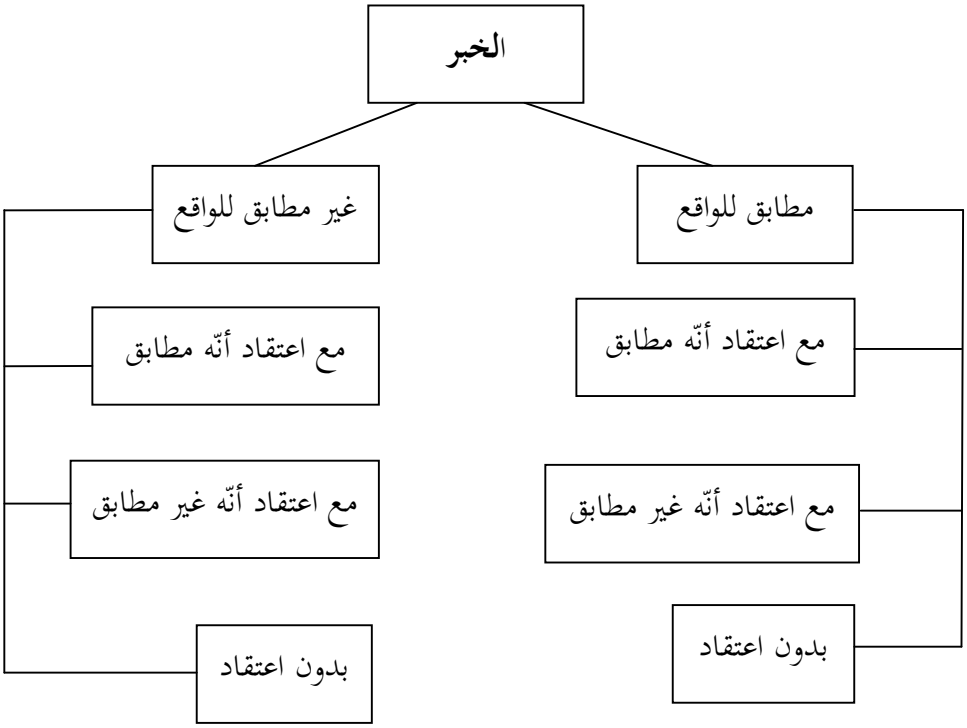

وعليه تحصر الأنواع الصادقة والكاذبة من الخبر وبالتالي يكون لدينا :

[1] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 93.

– الخبر الصادق: هو ما كان مطابقا للواقع مع اعتقاد المتكلّم أنّه مطابق.

– الخبر الكاذب: ما كان غير مطابق الواقع مع اعتقاد المتكلّم أنّه غير مطابق.

وينتج نوع آخر من الأخبار هو:

– الخبر الذي ليس صادقا ولا كاذبا: وهو صنفان:

1– الخبر المطابق للواقع: سواء مع اعتقاد المتكلّم أنّه غير مطابق أو بدون اعتقاده.

2– الخبر غير مطابق للواقع: سواء مع اعتقاد المتكلّم أنّه مطابق أو بدون اعتقاده.

وفي ذلك يحتكم الجاحظ إلى معيارين في الحكم على صدق الخبر أو كذبه إلى صنفين هما:

– مطابقة الواقع.

– واعتقاد الخبر (أو قصده).

وبذلك يكون الجاحظ قد أورد صنفا ثالثا من الأخبار صنّفه بأنّه غير صادق ولا كاذب" وهو بذلك يخالف جمهور العلماء والبلاغيّين العرب، ووافق به النّظام المعتزلي، وتأثّر به في غيره، وذلك باعتماده على القرينة التداوليّة التي هي في «**اعتقاد المتكلّم وقصده**».[1] إلّا أن **التفتازاني** يردّ هذا الرأي بقوله: «ولا نسلّم بأنّ القصد والشعور مدخل في خبريّة الكلام فإنّ قول المجنون أو النائم أو الساهي: زيد قائم كلام ليس بإنشاء فيكون خبرا ضروريا ولا يعرف بينهم واسطة».[2]

فالجاحظ نحى منحى تداولي في تحليله في حين التفتازاني في هذه المسألة نحى منحى تجريدي صوري غير ناظر إلى اعتبارات الاستعمال ومقاصد المتكلّمين.

---

[1] ينظر مسعود صحراوي: التداوليّة عن العلماء العرب، ص94.

[2] التفتازاني سعد الدين: المطوّل في شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، منشورات دار الحكم، إيران، دط، دس، ص 40.

ومعيار الجاحظ "**اعتقاد المتكلّم وقصده**" يشبه أو يقارب معيار سيرل وهو "**شرط الصّراحة**" الذي صنّف به الأفعال المتضمّنة في القول كما يلتقي الجاحظ في هذه الرؤية التداوليّة بالدّسوقي والسّبكي حين أدرجا "قصد" المتكلّم في التّميز بين "**الخبر والإنشاء**".[1]

أمّا تقسيم إبراهيم النظّام فقد أورد البلاغيّون العرب رأيه في تقسيم الكلام إلى :"خبر وطلب" على أساس معيار الصّدق والكذب، وفرّق بينهما بأن صدق الخبر مطابقته لاعتقاد المخبر، سواء طابق الواقع أو لم يطابقه وكذب الخبر عدم مطابقته لاعتقاد المخبر سواء لم يطابق الواقع أم طابقه.[2]

فعند النظّام الخبر الصادق هو ما طابق اعتقاد المخبر سواء طابق الواقع (النسبة الخارجيّة) أم لم يطابقه وهذا رأي شبيه برأي الجاحظ في النّظر إلى الصّدق والكذب نظرة تداوليّة نسبيّة لا نظرة تجريديّة مطلقة.

وقد بلغت آراء العلماء حول رأيه إلى حدّ التّسفيه، ومن عبارات تشنيعهم وتسفيههم له ما صرّح به الدسوقي في قوله: «...وجه كمال سخافتة ما يلزم عليه من تصديق اليهودي إذ قال: "الإسلام باطل" وتكذيبه إذ قال: "الإسلام حق" وإجماع المسلمين ينادي على ذلك بالبطلان والفساد».[3]

ولكنّ الناظر المتفحّص إلى رأي النظام يجد له مسوغا بوجه من الوجوه، فالصّدق عنده منظور إليه نظرة تداوليّة لا نظرة تجريديّة، أي بحسب ما يعتقده اليهودي لا بحسب ما يعتقده المسلم، ومن هنا يمكن اعتبار رأي النّظاّم مقبولا.[4]

---

[1] ينظر مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص104.

[2] ينظر: الدسوقي محمد بن عرفة: شرح مختصر التفتازاني ضمن شروح التلخيص، منشورات دار الحكمة، إيران دط. دس، ص 176.

[3] المرجع نفسه: ص 176.

[4] ينظر: مسعود صحراوي: مرجع سابق ، ص 99.

لاسيّما تمسّكه أي –النظّام– بظاهر الآية الكريمة ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ سورة المنافقون [1] فإنّه تعالى سجّل بأنّهم كاذبون في قولهم: نشهد أنّك لرسول الله مع أنّه مطابق للواقع، فلو كان الصّدق عبارة مطابقة الواقع لما صحّ هذا.

ومع هذا يردّ "التفتازاني" قول النّظام بقوله: إنّ قولهم نشهد إنشاء لا خبر فالفصل بين شطري هذه الجملة يؤدّي إلى التّمييز بين أسلوبين مختلفين فعبارة "نشهد" أسلوب إنشائي، لأنّها نسبة كلاميّة يقصد بها أن توجد نسبة خارجيّة: وإنشاء الشهادة والإتيان بها على وجهها بعدها إيقاعا لفعل كلامي محدّد لم يكن معلوما قبل كلام المتكلّم وبصيغة أخرى قام بتفكيك العبارة إلى "محتوى قضوي" وهو إنّك لرسول الله وبين مضمون المطابقة للقوّة الإنجازية وهو "نشهد".

وإذا ما راعينا عبارة " إنك لرسول الله" لوحدها فهي خبر لأنّها وصف وتقرير لواقع معيّن.[1]

والملاحظ أنّ النسبة في هذه العلاقة ثلاثية الأبعاد أي هناك ثلاث نسب.

1- النسبة الكلامية "إنّك لرسول الله"

2- النسبة الخارجيّة في الواقع (المرجعية أو الإحاليّة).

3- النسبة النفسية (أو الذهنية).

فشهادتهم بألسنتهم (النسبة الكلامية) لا تطابق ما هو في نفوسهم (النسبة الخارجية الذهنية) على الرغم من مطابقتها للواقع الخارج عن النفس والذهن (النسبة الخارجية المرجعيّة).[2]

---

[1] ينظر مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص100.

[2] التفتازاني: المطول في شرح تلخيص المفتاح، ص40.

ويمكن أن يتّضح هذا أكثر بالرسم التالي:[1]

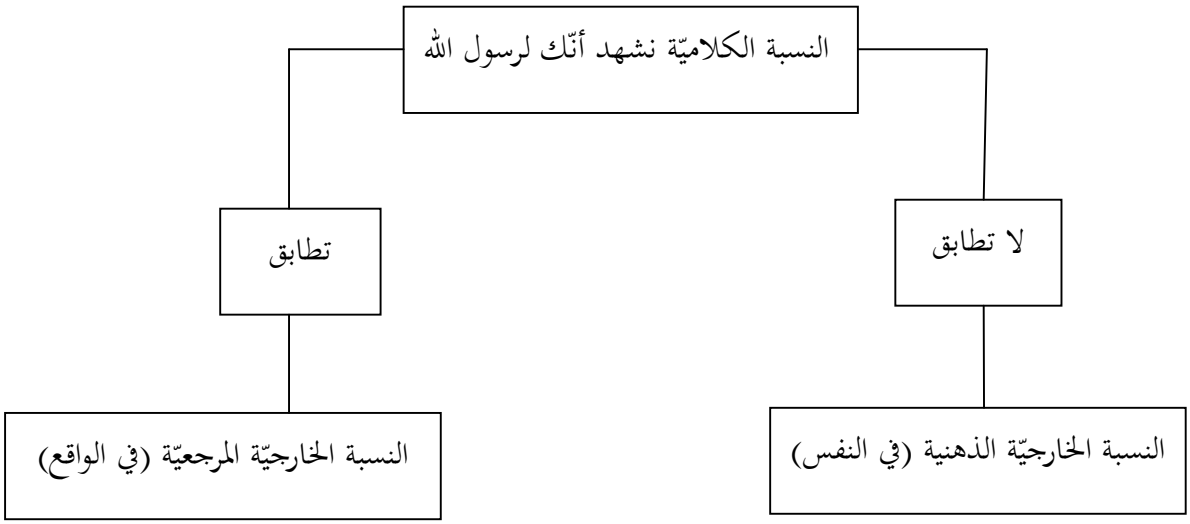

فالنسبة الكلاميّة "نشهد أنّك لرسول الله" في حالة تطابق مع النسبة الخارجيّة من منطلق أنّ الواقع فعلا يشهد أنّ محمّدا رسول الله غير أنّ هذه النسبة في علاقة تناقض مع النسبة الخارجيّة في نفوس المنافقين، وذلك يثبت قول التفتازاني "يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم"، إذن فالجملة "نشهد أنّك لرسول الله" تتأرجح بين الإنشائيّة والخبريّة، فإذا كان إيقاعا لفعل الشّهادة في الحين فهو إنشاء وإذا كان حكاية عن فعل وقع في الماضي فهو خبر، وعلى الرغم من تنبّه التفتازاني إلى إمكانيّة عدّ الجملة إنشائيّة ووعيه بذلك، فإنّه لم يوظّف هذا المعنى في مناقشة رأي النظّام أو التعقيب عليه، فلهذه الوجوه يمكن الدفاع عن رأي إبراهيم النظّام بأنّ قول اليهودي "الإسلام باطل" يكون صادقا بالمعنى الخاص للصدق عنده، وهو اعتقاد اليهودي ببطلان الإسلام ويكون تحديد مدلول"الصّدق" تحديدا تداوليّا لا تحديدا تجريديّا ومن ثمّ يكون رأيه مستساغا ومعقولا.[2]

– الإنشاء

أمّا الإنشاء فقد قسّمه البلاغيّون إلى "طلبي" و "غير طلبي":

---

[1] ينظر:مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 102.

[2] ينظر:المرجع نفسه: ص102 ، 103.

1- الإنشاء الطلبي

يشمل هذا الضرب عندهم ظواهر أسلوبيّة متعدّدة نعرضها فيما يلي:

أ- الأمر والدعاء والالتماس

لقد درج البلاغيّون وغيرهم على تقسيم الطّلب بحسب منزلة المتكلّم بالنسبة للمخاطب وهذا يعني أنّ الطّلب يسمّى أمرا إذا صاحبه أمر استعلاء المتكلّم على المخاطب، ويسمّى التماسا إذا تساوى المتكلّم مع المخاطب ويكون دعاءً أو سؤالا إذا خضع المتكلّم للمخاطبة.[1]

وتختلف هذه الأساليب باختلاف منزلة كل من المتكلّم والمخاطب.

والمخطّط أدناه يصوّر أقسام الإنشاء الطّلبي من جهة علاقة المتكلّم بالمخاطب ومن جهة تداوليّة كما هو معلوم: [2]

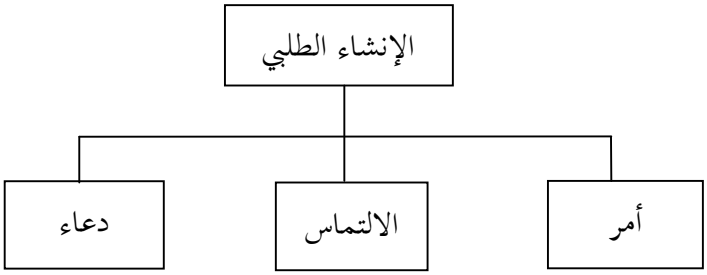

والملاحظ في هذا المخطّط أنّ كل من **الأمر** و **الالتماس** و**الدعاء** يندرجون ضمن قسم الإنشاء الطّلبي وذلك بالرغم من اختلاف منزلة المتكلّم بالنسبة للمخاطب وينبغي الإشارة إلّا أنّ كل من **الدّعاء والأمر والالتماس** أغراض تواصليّة ووظائف خطابيّة تؤدى بصيغة الأمر أو صيغة النهي بمقتضى قاعدة "خروج الأسلوب على الظاهر"

[1] ينظر: مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 105

[2] ينظر: المرجع نفسه: ص107.

وبالعودة إلى معايير "**سيرل**" فخروج الأمر إلى الدعاء والالتماس، له معيار هو "الشروط المعدّة" بينها فسيرل بمثال الطلب، حيث يطلب عسكري برتبة عميد إلى جندي بسيط أن ينظّف الغرفة هو أمر، أمّا نفس الطلب الموجّه من الجندي البسيط إلى العميد فهو اقتراح أو رجاء.[1] وهذا راجع إلى مرتبة كل من الآمر والمأمور.

ب- الأمر والنهي

وقد قاموا بتقسيم الطلب تقسيما آخر إلى: الأمر والنهي

فالأمر **عند الشريف الجرجاني**:"**طلب الفعل غير الكفّ**" أمّا النهي ومعناه "**طلب الكفّ**" واشترط السكاكي "الاستعلاء" ويفيد أنّ الوجوب إذا تحقّق ذلك، وإذا لم يتحقّق شرط الاستعلاء، أفاد الترك فقط وقد يخرج النهي عن الكفّ والترك إلى الدّعاء إذا تضرّع صاحبه.[2]

وقد فرّق السكاكي بين الأمر والنهي بأنّ الأمر والنهي "**طلب الحصول ثبوتا متصوّرا**" والنهي "**طلب لحصول انتفاء متصوّر**".

وهذا التحديد لا يوضّح الفرق بين "**الانتفاء**" "**وعدم الفعل**".[3] حسب تعليق محمد الجرجاني، كما اعتنى البلاغيّون بصيغ الأمر والنهي، فصيغ الأمر **إسمية فعلية وأذاتية**.

والأدوات: **اللام الجازمة**، أو **لام الأمر** وحدّد معناها بقولهم: "**الأمر وما أشبهه من الالتماس والدعاء والتهديد...وجميع ما يخرج إليه من معانٍ مجازية**"، أمّا الصيغ الفعليّة فصيغ فعل الأمر كلّها واشترطوا لها الاستعلاء، كذلك المضارع المقرون بلام الأمر والأسماء هي أسماء الأفعال.

---

[1] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص106.

[2] المرجع نفسه: ص108.

[3] المرجع نفسه: ص108.

وأضاف آخرون "المصدر الدال على الطلب مثل "**شكرا لا كفرا**" شكرا هنا للأمر كفرا للنهي، والتقدير **أشكر النعمة ولا تكفر بها**، وكل لفظ تدخل الفاء عليه هو مضاف فإنّ معناه هو الأمر مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ سورة محمد [4].

والنهي له حرف واحد، هو لا الناهية التي تدخل على الفعل المصارع عند السكاكي وغيره، والنهي فيها أصلي، ثم تحمل مجازاته على الالتماس والدعاء والتهديد والإرشاد، فالنهي فيها "**فعل كلامي أصلي**" والبقية أفعال متضمّنة في القول واعتبروه معانٍ مجازيّة هي أفعال كلاميّة ذات وظائف تواصليّة معيّنة يحكمها مبدأ "الغرض" أو "القصد" الذي يريده المتكلّم من الخطاب ، كما يضاف المصدر بلا الناهية إلى صيغة النهي وأضاف البلاغيّون التقرير إلى الأمر و النهي مثل قوله صلّى الله عليه وسلم "إنّما الأعمال بالنيّات".[1]

إذا كانت «صيغ الأمر تحدّد في حقيقتها طلب فعل الشيء على وجه الاستعلاء، فإنّ هذا التحديد تعدّ تحديدا أصليّا لطبيعة الأمر فقد يخرج إلى دلالات بلاغيّة أخرى وهي دلالات كثيرة ذكرها البلاغيّون قديما وحديثا نوردها فيما يلي:

1- الدعاء: ويكون عند استعمال الأمر على سبيل التضرّع».[2] كما في قوله تعالى:﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ سورة نوح [28] ويتحقّق الدعاء غرضا للأمر إذا كان من أسفل إلى أعلى كأن يكون بين العبد وربّه.

2- النصح والإرشاد: يرد الأمر لهذا الغرض حثّا للمأمور فعل ما ينفعه، ومنه قوله تعالى: ﴿وأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ سورة البقرة [282].

3- الإكرام: يكون في مقام إكرام المأمور[3] كما في قوله تعالى ﴿أدخلوها بسلام آمنين﴾ سورة الحجر [46].

---

[1] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص110، 111.

[2] مختار عطية: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم –دراسة بلاغية، دار الوفاء، الإسكندريّة، دط، دس، ص 225.

[3] المرجع نفسه، ص234.

4- الإنذار: وهو قريب من التهديد إلّا أنّه يعني الإبلاغ، والتهديد يعني التخويف[1] كما في قوله تعالى: ﴿قل تمتّعوا فإنّ مصيركم إلى النار﴾ سورة إبراهيم [30].

وقد يرد الأمر لأغراض أخرى كالتسليم والتعريض، الاعتبار، الندب، السخريّة، التهكّم، الإشارة، التعجّب.

ج- النداء:

رأى أغلب العلماء أنّ النداء من قبيل الإنشاء الطلبي فنجد مثلا الفارابي يقول: «...فإنّ النداء يقتضي (بطلب) به أوّلا من الذي نودي الإقبال بسمعه وذهنه على الذي ناداه منتظرا كما يخاطبه بعد النداء».[2] أي لفت انتباه السّامع، ويرى السكاكي «أنّ في قولك: يا زيد طلب منك لإقباله عليه».[3] وهذا يعني أنّ النداء طلب وقوع فعل ما وهو الإقبال.

د- الاستفهام:

لم يتّفق العلماء العرب حول تنميط الاستفهام أهو الإنشاء الطلبي أو غير الطلبي، لكن عده أغلب النّحاة من الإنشاء الطلبي.

وعليه فإنّ أساليب الإنشاء الطلبي الأصلية، عند جمهور العلماء، خمسة ويلخّصها الرسم التالي: [4]

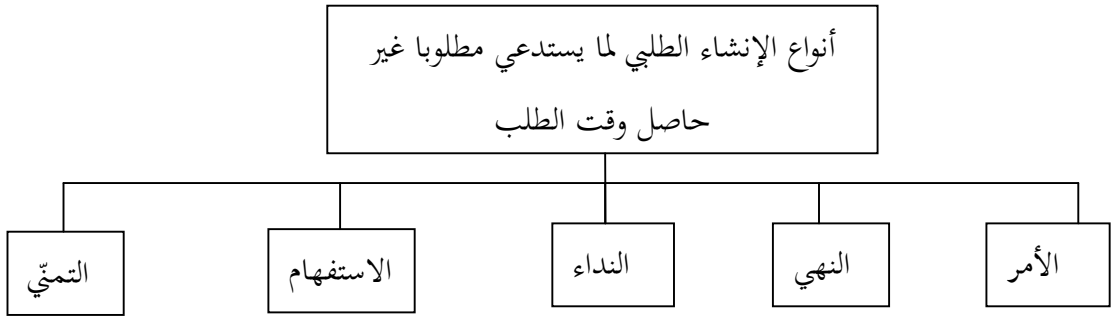

[1] مختار عطية: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، ص 236.

[2] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص115.

[3] السكاكي: مفتاح العلوم، ص 304.

[4] مسعود صحراوي: مرجع سابق، ص117.

وأيضا هذه الأساليب النحوية قد تخرج عن مقتضى دلالاتها الظاهرة إلى أغراض وإفادات تواصليّة بحسب ما يقتضيه المقام، كما سبق وذكرنا الأمر قد يخرج إلى: الدعاء أو الالتماس، أو التهديد أو التّعجيز.... وكذلك الشأن مع غير الأمر من أساليب الإنشاء الطلبي.

2- الإنشاء غير الطلبي:

هو الضرب الثاني من الأسلوب الإنشائي، وهذا النوع لا طلب فيه فلا يستلزم مطلوبا غير حاصل وقت الطلب وأنواعه عند جمهورهم: التّرجّي والقسم، والتعجّب والمدح والذّم وصيغ المقاربة والرجاء وألفاظ العقود.[1]

2-3 جهود النّحاة في دراسة الأفعال الكلامية:

لم يفهم النحاة العرب القدماء اللّغة على أنّها منظومة من القواعد المجرّدة فقط، لكنّهم فهموا: «أ نّها لفظ معيّن يؤدّيه متكلّم معيّن في مقام معيّن لأداء غرض تواصلي معيّن» فنجد السكاكي يعرّف النحو قائلا: « **معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأديّة أصل المعنى بمقاييس مستنبطة من كلام العرب**».[2]

ووضح الغرض من وضع الكلم في التركيب وهو حصول الفائدة عند المخاطب.[3]

كما نجد جلّ النحاة لم يفصلوا بين المعنى والمبنى في الإعراب، وهو ما يدلّ عليه قول ابن هشام: «**متى بني على ظاهر اللّفظ ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد**».[4] ونجد أيضا من قواعدهم المقرّرة "**الإعراب في المعنى**" وهو ما يدلّ على أنّهم درسوا اللّغة دراسة وظيفيّة تداوليّة.[5]

---

[1] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص118.

[2] المرجع نفسه: ص174.

[3] المرجع نفسه: ص174.

[4] ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عند كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، دط، 1991م، ج2 ص 607.

[5] مسعود صحراوي: مرجع سابق، ص175.

وأيضا نجد مساهمة بعض النّحاة في صناعة بعض مقولات ومفاهيم علم المعاني وطبّقوها في مجال بحثهم النحوي على مستوى الجملة، فقسّموا الكلام إلى خبر وإنشاء ونقلوه من تقسيم الكلام إلى تقسيم للجملة فصنّفوها إلى الجملة الخبريّة والجملة الإنشائيّة.[1]

ورأوا أنّ الجملة تدلّ على معنى أساسي واحد، هو نسبة مضمون المسند إلى المسند إليه، فإذا قصد المتكلّم الكشف والإنباء عن ثبوت تلك النسبة أو عدم ثبوتها في الواقع، كانت الجملة خبريّة محتملة لتطابق ذلك الإنباء مع الواقع أن تكون صادقة، أو عدم التطابق مع الواقع فتكون كاذبة، أمّا إذا قصد المتكلّم إيجاد النسبة الخارجيّة وإنشاءها في الواقع فجملته عندئذ تكون إنشائيّة.[2]

ونجد أنّ النّحاة اشترطوا في بعض الجمل أن تكون خبرية وفي أخرى أن تكون إنشائية، فتكون الجملة خبريّة أو إنشائيّة مؤثّر في طبيعة تركيبها، وفي قواعدها وتحليلها النحوي، خاصة إذا أخذت الجملة أدوارا وظيفيّة.[3]

وفي الأخير نرى أنّ النّحاة اهتمّوا بمبادئ تداوليّة من حيث يعتبرها المعاصرون أسس تداوليّة، حيث نجد أنّهم راعوا قصد المتكلّم، وحال المخاطب أي ما أطلقوا عليه مصطلح الإفادة، وهي الفائدة التي يحصل عليها المخاطب من الخطاب، ونجد اهتمامهم البالغ بسياق الحال، ومدى نجاح التّواصل اللّغوي.

كما نجد الكثير من النحاة العرب اهتمّوا بالبحث في معاني الأساليب وأغراضها التواصليّة فجعلوا منها أساسا معرفيّا لتحليلهم النّحوي، ولعلّ البدايات الأولى لملاحظة المنحى التداولي يعود إلى عصر **الخليل ابن أحمد**

---

[1] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 175.

[2] المرجع نفسه، ص76.

[3] المرجع نفسه: ص 76.

الفراهيدي وتلميذه سيبويه ولكنّ المتأخرين كانوا أكثر اهتماما بذلك أمثال عبد القاهر الجرجاني والرّضي الإستراباذي.[1]

ولقد اهتمّ النحاة منذ القديم بدراسة الأساليب النحويّة وأغراضها التواصليّة واهتمّوا بها اهتماما كبيرا، ومن أهمّ معاني الأساليب النحويّة ما يلي:

1- الأمر:

الأمر في اللّغة يحمل رغبة الآمر في استجابة المأمور بشيء ما سواء أكان فعلا أو قولا وقد جاء في أساس البلاغة «**أمر إنّه لأمور بالمعروف نهو عن المنكر، وأمرت فلانا أمره أي أمرته بما ينبغي له من الخبر**».[2] وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنّه أعلى منزلة ممّن يخاطبهم، أو يوحي الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة من هو في الواقع أم لا.[3]

أي أسلوب الأمر مقترن باللاّم، أي لام الأمر، وهذه اللاّم موضوعة لطلب الفعل على وجه الاستعلاء.

يحدّد اللّغويّون للأمر طرقا يتمّ بها وصيّغا تميّزه عن غيره وقد جعل المتأخرون للأمر صيّغا أربعة: صيغة فعل الأمر، المضارع المقرون بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعله.[4]

ويمكن التمثيل لهذه الصيغ:

- الصيغة 1: في قوله تعالى: ﴿فبشّره بمغفرة﴾ سورة يس [11] فقد جاء الأمر بصيغة فعل الأمر بشّر.

---

[1] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 158.

[2] الزمخشري: أساس البلاغة (مادة أمر)، ص19.

[3] ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، لبنان، دط، 1985م، ص75.

[4] مختار عطيّة: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، ص 223، 224.

– **الصيغة 2**: نحو قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ سورة الطلاق [6] وجاء الأمر هنا بصيغة المضارع المقرون بلام الأمر.

– **الصيغة 3**: نحو قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ سورة المائدة [105].

– **الصيغة 4**: نحو: سعيا في فعل الخير، فسعيا مصدر نائب فعل الأمر الذي هو: اِسْعَ أو اِسعُوا.

إذن فالأمر يخرج إلى استعمالات أخرى كالطلب والدعاء، وهي استعمالات غير أصلية.

2– التأكيد

"هو معنى مستفاد من صيّغ وأساليب لغويّة معيّنة معروفة في العربيّة، وغرض تواصلي يستخدمه المتكلّم لتثبيت الشيء في نفس المخاطب وإزالة ما علق بها من شكوك وإماطة ما خالجها من شبهات".[1]

ونجد ممن اعتنى بدراسته بعض المتأخّرين من النحاة أمثال "**الرّضيّ الإستراباذي**" حيث حدّد الغرض منه ثلاثة أمور:

1– أن يمنع المتكلّم غفلة عنه.

2– أن يدفع ظنّه بالمتكلّم الغلط، فإذا قصد المتكلّم أحد هذين الأمرين، فلابدّ أن يكرّر اللّفظ الذي ظنّ غفلة السامع عنه، أو ظنّ أن السامع ظنّ به الغلط فيه.

3– أن يدفع عن نفسه ظنّ السامع به تجوزا.[2]

إذن فالغرض من التأكيد هو لفت انتباه السامع ودفع الغلط عن المتكلّم إذن نرى أنّ كلّ فعل كلامي تأكيدي صالح لأن يكون مصدّقا لأغراض التداوليّة التي لمح إليها **الأستراباذي**

---

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 205، 206.

[2] الإستراباذي رضي الدين: شرح الكافيّة في النحو لابن الحاجب، تح: رحاب عكاوي، دار الفكر، بيروت، ط2، 2000/، ص 377، 378.

إذن ممّا سبق يمكن القول أنّ "الفعل الكلامي التّأكيدي" كثير الصيّغ والأشكال ومنها على الخصوص التأكيد ب "أنّ" والتأكيد بالقسم والتأكيد بتقديم المسند إليه على "المسند الفعلي" كما ذكر أبو يعقوب السكاكي، وقبله "عبد القاهر الجرجاني" حيث تحدّث عن «إفادة تقديم المسند إليه في الأسلوب الخبري المثبت التّأكيد والقوّة والتحقيق».[1]

كما وضّح أنّ من أوكد الحالات التي تتطلّب ذلك حالتان هما: **الوعد والضّمان** فهما من أحوج شيء إلى التأكيد، ويضمّ أيضا **التوكيد اللّفظي والتوكيد المعنوي** إضافة إلى الحال المؤكّدة والمفعول المطلق المؤكّد لفعله فوظيفتها على حسب رأي النّحاة هي "**التأكيد**".[2]

أمّا من وجهة نظر "**سيرل**" والتداوليّين المعاصرين فهو "فعل كلامي" يصنّف ضمن التّقريرات **Assertifs** والغرض المتضمّن في القول لهذه المجموعة الكلاميّة في رأي "سيرل".[3]

3- الاستغاثة والنّدبة:

وهما معنيان متفرّعان عن النداء في تصوّر النحاة، ولقد قال سيبويه: «إعلم أنّ المندوب مدعو ولكنّه متفجّع عليه، فإن شئت ألحقت آخر الاسم الألف، لأنّ النّدبة كأنّهم يترنّمون فيها، وإن شئت لم تلحق كما لم تلحق في النّداء».[4]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: رضا رشيد ، المكتبة العصريّة، بيروت، دط، 2000، ص 166، 167.

[2] ينظر: مسعود صحراوي، ص 207..

[3] ينظر:المرجع نفسه، 207..

[4] عبد السّلام هارون: الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربي، مكتبة الخانجي، مصر، دط، 1979م، ص 230.

ويكمن الفرق بين النّداء والنّدبة هو المنادي يقبل إليك في حين المتفجّع عليه لا يقبل، فالمندوب نظير – شبيه– "المنادى" يختلف عنه في أنّه **متفجّع عليه،** إذ فيه معنى زائد على النّداء، وهوّ أنّه مندوب أو مستغاث به وهذا المعنى الزائد الذي يميّز أسلوب الاستغاثة يجعله بمصطلح "**سيرل**" من "البوحيات".[1]

4– الدعاء

مثّل له سيبويه بألفاظ جمعها في قوله: «سلام عليك، ولبّيك، وخيرٌ بين يديك، وويل لك، وويحٌ لك وويلة لك، وخيرٌله، وشرّ له».[2]وقوله تعالى: ﴿لعنة الله على الظالمين﴾ سورة هود [18].

ثمّ عقّب قائلا: «فهذه الحروف كلّها مبتدأة مبنيّ عليها ما بعدها، والمعنى فيهنّ أنّك ابتدأت شيئا قد ثبت عندك، ولست في حال حديثك تعمل في إثباتها وتزجيّتها، وفيها ذلك المعنى، كما أنّ "حسبك" فيها معنى النهي...» وعليه المعنى الذي تفيده هذه العبارات هو الدعاء.[3]

5– الوعيد

وهو معنى مستفاد من بعض البنى التركيبيّة ولكنّه غالب على التراكيب الإسناديّة ويختلف عن الوعد إذ «أنّه يهدف إلى إلحاق الضّرر بالمخاطب، وأمّا التراكيب النحويّة التي ضمّنت الوعيد عند "**سيبويه**" مثل قوله تعالى:"ويل للمطفّفين" فيرى بعضهم أنّها للدّعاء».[4]

---

[1] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 215.

[2] المرجع نفسه: ص 213.

[3] المرجع نفسه: ص 214.

[4] المرجع نفسه: ص 215.

وقد ردّ سيبويه هذا التخريج، وقال "لا ينبغي أن تقول إنّه دعاء هنا، لأنّ الكلام بذلك قبيح، ولكنّ العباد إنّما كلّموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون فكأنّه والله أعلم- قيل لهم ممن وجب هذا القول لهم".[1] فقد رفض سيبويه حمله على الدعاء لأنّه في رأيه لا يليق بجلال الله.

5- القسم

بالرغم من أنّ النّحاة العرب لم يدرسوا القسم بوصفه "معنى" من المعاني ولكن بوصفه "أسلوبا" من الأساليب، وعلى الرّغم من اختلافهم في خبريّته وإنشائيّته فإنّ بعضهم قد حاولوا دراسة بنيته وتقصّي آثاره في معنى التركيب، فعرّفوه بأنّه «**الحلف واليمين**».[2] وهو ما كان جوابه طلبا مثل: «بالله لتأكلنّ كثيرا» وغرضه الإلحاح في الطلب.

وعدّه بعضهم من ضروب الإنشاء الطلبي كما عرفنا وقسّموه إلى قسمين:

- **قسم السّؤال (أو الطلب)**[3] وهو ما كان جوابه متضمّنا طلبا، مثل "**بالله لتفعلنّ كذا**" وغرضه الإلحاح في الطلب.

- **قسم الإخبار** وهو ما قصد به توكيد جوابه، مثل: "والله ما فعلت كذا" أو "والله إنّي صادق" وغرضه تأكيد الخبر.

إذن فالأوّل:حمل المخاطب على فعل أو ترك، والثاني إخبار عن أمر وقع وانقضى أو وصف له،ويبدو أنّ القسم بنوعيه بمعايير "**سيرل**" مندرج ضمن "**درجة الشّدة للغرض المتضمّن في القول**" وأمّا الفرق بين قسم

---

[1] سيبويه أبو بشر عمرو بن قنبر: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دط، دس، ص 230.

[2] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 208.

[3] المرجع نفسه: ص 208.

الطلب وقسم الإخبار بمصطلحات "**سيرل**" فإنّ الأوّل يصنّف في قسم "**الأمريات**" والثاني يصنّف ضمن "**التقريرات**"

ويتّضح ذلك في المشجّر أدناه: [1]

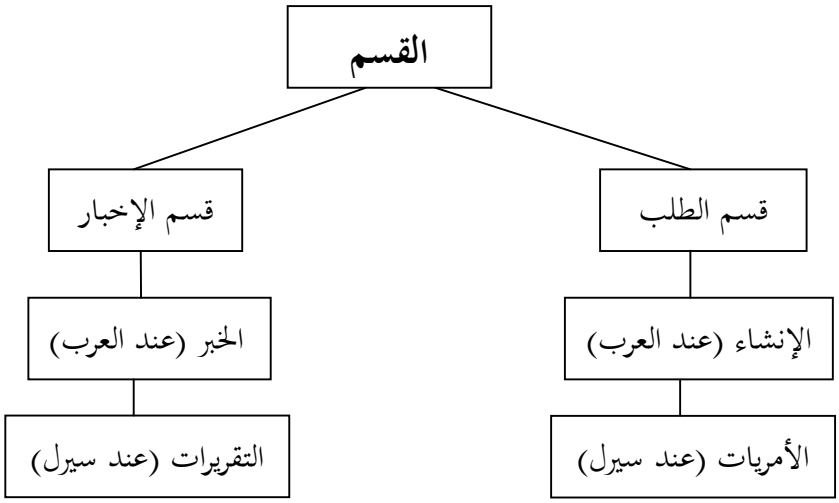

إذن فقد وقع اتّفاق بين اللغويّين العرب واللغويّين المعاصرين في هذا التصنيف الجزئي لنوعي القسم أي اعتبار أحدهما خبرا والآخر إنشاء أو طلبا.

إذن في الأخير ومن خلال تطرّقنا لأنواع الأساليب النحويّة المذكورة سابقا يمكن القول بأنّها تندرج ضمن "الأفعال الكلاميّة" التي درسها النّحاة تحت أبوابها النحويّة المعروفة، والتي يمكن أن نعدّها أفعالا كلاميّة من الوجهة التداوليّة عندما ترد في سياقات ومقامات ملائمة.

كما نجد أنّ جمهور النحاة العرب منذ عصر سيبويه ولاسيما النحويّين عبد القاهر الجرجاني والرضيّ الأستربادي أولوا عناية كبيرة بالارتباط التداولي بين الأسلوب خبرا كان أم إنشاء وبيّنوا معناه البلاغي ووظيفته التواصليّة.

[1] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 209.

وأيضا البحث النحوي في تراثنا لا يخلو من الاهتمام بالأفعال الكلامية ضمن تطبيق معاني الخبر والإنشاء على بعض الظّواهر النّحويّة، وتطرّقوا إلى الكثير من الأفعال الكلاميّة ك"**فعل التّأكيد وفعل الاستغاثة والندبة**...

ونجد أنّ التداولية العربية على ضوء بحوث العلماء العرب ولاسيما عبد القاهر الجرجاني أنّ الصلة وطيدة بين النحو وعلم المعاني والفصل بينهما مضرّ.

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية لتداوليّة فعل الأمر في سورة التوبة

1- التعريف بسورة التوبة

1-1 ترتيبها وعدد آياتها وتسميّتها

هي سورة مدنيّة بالاتّفاق، وهي السورة التاسعة من القرآن الكريم، آياتها مئة وتسع وعشرون آية.[1]

سميّت هذه السورة، في أكثر المصاحف، وفي كلام السلف: سورة براءة، حيث ترجم لها الترمذي في جامعه باسم **التوبة**، ووجّه التسميّة: أنّها وردت فيها توبة الله تعالى عن الثلاثة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك وهم (كعب بن مالك، مرارة بن الربيع وهلال بن أميّة) وهو حدث عظيم .[2]

ولهذه السورة أسماء عدّة: براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشرّدة، المخزيّة، الفاضحة، المثيرة، الحافرة المنكّلة المدمدمة، وسورة العذاب لأنّ فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النّفاق أي: تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين أي تبحث عنها وتثيرها، وتفضحهم، وتشرّد بهم وتدمدم عليهم.[3]

وعن حذيفة رضيّ الله عنه: أنّه سمّاها سورة العذاب لأنّها نزلت بعذاب الكفّار، أي عذاب القتل والأخذ حين يثقفون.

ـ وعن المقداد بن الأسود وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما:

تسميّتها الباحوث -بباء موحدة مفتوحة في أوله وحاء مهملة وبمثلثة في آخره بوزن فعول- بمعنى الباحثة أي: أنها تبالغ في البحث عن أسرار المنافقين.[4]

---

[1] وهبة الزّحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشّريعة والمنهج، مج 5، ج 10، دار الفكر، دمشق، البرامثة، ط10، 2009، ص 437.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الجزء 10، الدار التونسيّة للنشر، تونس، دط، 1984، ص 85.

[3] الزمخشري: تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ص421.

[4] محمد الطاهر ابن عاشور: مرجع سابق، ص96.

1-2 زمن ومكان نزول سورة التوبة

هيّ سورة كريمة من السور المدنية، وهي من أواخر السور نزولا عند الجميع، كما أنها نزلت بعد سورة الفتح في قول جابر بن زيد: هي السورة الرابعة عشرة بعد المائدة في عداد نزول سور القرآن.

وروي: لأنها نزلت في أول شوال سنة تسع، وقيل آخر ذي القعدة سنة تسع، بعد خروج أبي بكر الصديق من المدينة للحجة التي أمره عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: قبيل خروجه.[1]

وفي موضع آخر أنها نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، وهي السنة التي خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم في غزوة تبوك، وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم، وقت القيظ والحر الشديد، حين طابت الثمار، فكانت ابتلاء لإيمان المؤمنين، وافتضاحا لنفاق المنافقين.[2]

لقد ذكر كثير من المفسرين أن بعض آيات هذه السورة نزلت أوزاعا في أوقات متباعدة، والجمهور على أنها نزلت دفعة واحدة، فتكون مثل سورة الأنعام بين السور الطوال.

والذي يغلب على الظن أن ثلاث عشرة آية من أولها إلى قوله تعالى:«فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين »نزلت متتابعة، وهذا ما اتفقت عليه الروايات.[3]

1-3 ما اشتملت عليه السورة

افتتحت السورة بالبراءة من المشركين، ومنحهم مدة أمان أربعة أشهر، ثم إعلان الحرب عليهم بسبب جرائمهم، ثم منعهم دخول المسجد الحرام إلى الأبد.

---

[1] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص97.

[2] وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ص439.

[3] محمد الطاهر ابن عاشور: مرجع سابق، ص97-98.

وتضمنت السورة في قسمها الأول حتى نهاية الآية (41) الحث على الجهاد والنّفير العام في سبيل الله بالأموال والأنفس، ثم تحدثت عن أوصاف المنافقين ومخاطرهم في القسم الثاني إلى آخر السورة، وتخلّل تلك الإشارة إلى تخلّف الأعراب عن الجهاد وعدم قبول تخلّف أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب من المشاركة في الجهاد، وختمت السورة بمقاربات واضحة تميز بين المؤمنين والمنافقين، وجعل الجهاد فرض كفاية، وتخصيص فئة أخرى للتفقه في الدين.[1]

فكان محور السورة يدور حول أمرين هامين هما:

_ أحكام جهاد المشركين وأهل الكتاب.

_ تمييز المؤمنين عن المنافقين بصدد غزوة تبوك.

أما أحكام الجهاد فقد مهد لها القرآن الكريم في هذه السورة بنبذ العهود والأمان بالنسبة للمشركين، وإنهاء المعاهدات التي كانت قائمة بين المسلمين وأهل الكتاب، لأن كلا من المشركين والكتابيّين نقضوا العهود، وتآمروا عدة مرات على حرب المسلمين بسبب المشاقّ التي وقعت في غزوة تبّوك وتحدثت حوالي عشرون آية على أحقاد اليهود ومؤامراته، وخبثهم وكيدهم، وأنّه لا عهد ولا أمانة لهم .

وأما الأمر الثاني فكان بسبب استنفار المسلمين لغزو الروم في غزوة تبوك، وقد أوضحت الآيات في القسم الأعظم من هذه السورة نفسيات المسلمين، وظهور عوارض التثاقل والتخلف ومراوغة المنافقين، واتخاذهم ما أطلق عليه (مسجد الضرار) الذي نزل بشأنه أربع آيات، وكرا للتآمر والتخريب، وسميت السورة الفاضحة لأنها فضحت المنافقين، ولم تدع لهم سرا إلا هتكته.[2]

---

[1] وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج10، ص440.

[2] المرجع نفسه: ص441.

2- أسلوب الأمر وبعده التداولي في سورة التوبة

2-1 دراسة إحصائيّة لفعل الأمر في السّورة

- الأمر بفعل الأمر

الفعل	نص الأمر في الآية	رقم الآية
1- فسيحوا	فسيحوا في الأرض أربعة أشهر.	2
2- واعلموا	واعلموا أنكم غير معجزي الله.	2
3- فاعلموا	وإن توليّتم فاعلموا أنّكم غير معجزي الله.	3
4- وبشّر	وبشّر الذين كفروا بعذاب أليم.	3
5- فأتمّوا	فأتمّوا إليهم عهدهم.	4
6- فاقتلوا	فاقتلوا المشركين.	5
7- وخذوهم	حيث وجدتموهم وخذوهم.	5
8- واحصروهم	واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد.	5
9- واقعدوا	واقعدوا لهم كل مرصد.	5
10- فخلوا	فخلوا سبيلهم.	5
11- فأجره	فأجره حتى يسمع كلام الله.	6
12- أبلغه	ثمّ أبلغه مأمنه.	6
13- فاستقيموا	فاستقيموا لهم إنّ الله يحبّ المتّقين.	7
14- فقاتلوا	فقاتلوا أئمّة الكفر.	12

15- قاتلوهم	قاتلوهم يعذّبهم الله.	14
16- قل	قل إن كان أباؤكم.	24
17- فتربّصوا	فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره.	24
18- قاتلوا	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله.	29
19- فبشّرهم	فبشّرهم بعذاب أليم.	34
20- فذوقوا	فذوقوا ما كنتم تكنزون.	35
21- وقاتلوا	وقاتلوا المشركين كافّة.	36
22- واعلموا	واعلموا أنّ الله مع المتّقين.	36
23- انفروا	ما لكم إذا قيل لكم انفروا.	38
24- انفروا	انفروا خفافا وثقالا.	41
25- وجاهدوا	وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله.	41
26- اقعدوا	وقيل اقعدوا مع القاعدين.	46
27- ائذن	ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي.	49
28- قل	قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.	51
29- فليتوكّل	فليتوكّل المؤمنون	51
30- قل	قل هل تربّصون بنا	52
31- فتربّصوا	فتربّصوا إنّا معكم متربّصون.	52
32- قل	قل أنفقوا طوعا.	53
33- أنفقوا	أنفقوا طوعا أو كرها	53

34- قل	قل أذن خير لكم يؤمن بالله.	64
35- قل	قل استهزءوا	64
36- استهزئوا	قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون.	64
37- قل	قل أبالله وآياته ورسوله.	65
38- جاهد	يا أيّها النبيّ جاهد الكفّار والمنافقين	73
39- اغلظ	واغلظ عليهم.	73
40- استغفر	استغفر لهم أو لا تستغفر لهم.	80
41- قل	قل نار جهنّم أشدّ حرّا.	81
42-فليضحكوا	فليضحكوا قليلا.	82
43- وليبكوا	وليبكوا كثيرا.	82
44- فقل	فقل لن تخرجوا معي أبدا.	83
45- فاقعدوا	فاقعدوا مع الخالفين	83
46- آمنوا	آمنوا بالله.	86
47- جاهدوا	وجاهدوا مع رسوله	86
48- ذرنا	ذرنا نكن مع القاعدين	86
49- قل	قل لا تعتذروا.	94
50- فأعرضوا	فأعرضوا عنهم إنّهم رجس.	95
51- خذ	خذ من أموالهم صدقة.	103
52- وصل	وصلّ عليهم إنّ صلاتك سكن لهم.	103

53- وقل	وقل اعملوا.	105
54-اعلموا	اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله.	105
55- فاستبشروا	فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به.	111
56- وكونوا	وكونوا مع الصّادقين.	119
57- اتّقوا	اتّقوا الله.	119
58- قاتلوا	يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم.	123
59- واعلموا	واعلموا أنّ الله مع المتّقين.	123
60- فقل	فقل حسبيّ الله لا إله إلا هو عليه توكّلت.	129

- المضارع المقرون بلام الأمر:

الفعل	نصّ الأمر في الآية	رقم الآية
1- فليتوكّل	وعلى الله فليتوكّل المؤمنون.	51
2- فليضحكوا	فليضحكوا قليلا.	82
3- وليبكوا	وليبكوا كثيرا.	82
4- وليجدوا	وليجدوا فيكم غلظة.	123

من خلال الدراسة الإحصائية لأفعال الأمر الموجودة في سورة التوبة يلاحظ طغيان أفعال الأمر الصريحة على أفعال الأمر غير الصّريحة، حيث كان عدد الأفعال التي وردت بصيغة "فعل الأمر" ثلاثة وخمسون (53) فعلا؟ أمّا أفعال الأمر التي جاءت بصيغة المضارع المقرون بلام الأمر فكان عددها أربعة (4) أفعال.

2-2 فعل الأمر والتوجيهات التداوليّة في السورة

بعد الأمر من الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة، وأمّا بلغة التداوليّين فهو فعل كلامي يحمل قوّة إنجازيّة تحدّدها إرادة المتكلّم وقصده وهي إرادة متعلّقة بطلب إيقاع المأمور.[1]

والأمر في القرآن الكريم قد يرد على سبيل الحقيقة لحمل المخاطب على إتيان المأموريّة، كما تأتي على سبيل المجاز، فتخرج صيغته عن المعنى الأصلي إلى معان فرعيّة أخرى كثيرة تفهم من سيّاق الكلام وقرائن الأحوال.

كما نجد أنّ جملة الأمر وردت في آيات السورة، وعليها الجملة المتصدّرة بفعل الأمر (فعل) بعد الخطاب موّجّها من الآمر-سبحانه وتعالى- إلى المأمورين من خلقه على الامتثال لأوامره، ومثال ذلك ما ورد في سورة التوبة.

أمّا التوجيهات وتسمّى الأمريّات فهي قسم بارز في أفعال الكلام، يبتغي من ورائها المتكلّم جعل شخص آخر يقوم بشيء.«وغرضها الإنشائي توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، واتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات world to words وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في الإرادة والرّغبة الصادقة والمحتوى القضوي فيها وهو دائما فعل السّامع شيئا من المستقبل، ويدخل في هذا الصّنف: الاستفهام والأمر والرجاء والاستعطاف والتشجيع والدعوة والإذن والنّصح بل التحدّي أيضا جعله أوستين Austin في أفعال السلوك behabitises».[2]

قال الله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ الآية [1-2].

---

[1] ينظر: مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 105.

[2] محمّد أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي، ص 79.

افتتحت السورة بالبراءة من المشركين ومنحهم مدة أمان أربعة أشهر ثمّ إعلان الحرب عليهم بسبب جرائمهم ونقضهم للمواثيق والعهود

الموضع 1:﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ الآية [2].

فسيحوا: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: إمهال المشركين السير أربعة أشهر.

وهو فعل كلامي توجيهي تضمّن قوّة إنجازيّة حرفيّة: وهيّ الأمر الصّريح بالسير في الأرض آمنين غير خائفين من المسلمين (وأمر أن يؤجّلهم أربعة أشهر فإذا انسلخ الأشهر الحرم وجب قتالهم).

"والسياحة والسّيح الانتقال من الأرض بحريّة والسياحة حقيقتها السير في الأرض، وكان الأمر بهذا السير مفرّعا عن البراءة من العهد ومقرّرا لحرمة الأشهر الحرم، فعلم أن المراد السير بأمن دون خوف في أيّ مكان من الأرض، وليس هو سيرهم في أرض قومهم، دلّ ذلك على إطلاق السياحة وإطلاق الأرض، فكان المعنى فسيحوا آمنين حيث شئتم من الأرض".[1]

ولقد حدّدت لهم هذه المدّة ليفكّروا في أمرهم فيختارون إمّا الإسلام وإمّا القتال، ولتكون لديهم فرصة للاستعداد للقتال إذا أصرّوا على شركهم وعداوتهم وهذا منتهى التّسامح والإنذار حتى لا يتّهم المسلمون بأخذهم فجأة على غرّة الأشهر الأربعة حسب رأي السيوطي "شوّال ذو القعدة، ذو الحجة ورجب".[2]

وتتجسّد قيمته الحجاجيّة في " إمهال المشركين السيّر لمدّة أربعة أشهر أي حريّة انتقالهم في الأرض وعند انتهاء هذه المدّة يختار أمّا الإسلام إمّا القتال (أي لهم حريّة الاختيّار)، فمن يخضع لأمر الله له النّجاة ومن لا يخضع لأمره عزّ وجلّ له العذاب الأليم".

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتّنوير، ص 106.

[2] وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص 447.

الموضع 2: قال الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

فاعلموا: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي "**التهديد**"، تضمّن قوة إنجازيّة حرفيّة تمثّلت في الأمر الصّريح بالعلم من أنّهم لن يفلتوا من عذاب الله بالهرب والتحصّن إن بقوا على شركهم وعداوتهم.

وجاء في التّفسير المنير لوهبة الزّحيلي: «أي اعلموا علم اليقين أنّكم لن تفلتوا من عذاب الله بالهرب والتحصّن إن بقيتم على شرككم وعداوتكم وإن أمهلكم وهو مخزيكم أي مذلّكم في الدّنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب في النّار».[1]

كما نجد أن اعلموا عطف على "فسيحوا" فهو داخل في حكم التفريع، لأنّه لما أنبأهم بالأمان في أربعة أشهر عقبه بالتخويف من بأس الله احتراسا من تطرّق الغرور وتهديدا بأن لا يطمئنوا من أن يسلّط الله المسلمين عليهم في غير الأشهر الحرم، وإن قبعوا في ديّارهم، وافتتاح الكلام ب"اعلموا" للتنبيه على أنّه ممّا يحقّ وعيه والتدبّر فيه.[2]

تجسّدت قيمته الحجاجيّة بالعلم بأنّه لا مفرّ من عذاب الله وأنّه لاحق بهم في حال أنّهم لم يسلموا فعذاب الله لاحق بهم إمّا في الدنيا وإمّا في الآخرة، "أي العلم بأنّه من لم يخضع لأمر الله فالعذاب لاحق به لا محالة".

الموضع 3: قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

و نجد في الآية [3] فعل أمر وهو "**بشّر**"، وبشّر فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: التهكّم.

---

[1] وهبة الزحيلي: التفسير المنير ،ص 449.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 106، 107.

وهو فعل كلامي طلبي توجيهي تضمّن قوّة إنجازية حرفيّة: وهي التبشير بالعذاب الأليم، أي "بشّر أيّها الرسول من أنكر رسالتك، ولم يؤمن بالله وملائكته بشّره بعذاب أليم، وهذا أسلوب تهكّمي واستهزاء إذ استخدمت البشارة بالسّوء محلّ الإنذار".[1]

إذن فالبشارة أصلها الإخبار، بما فيه مسرّة وقد استعيرت هنا للإنذار والإخبار بما يسوء على طريقة التهكّم.[2]

وتتجسّد القيمة الحجاجيّة للفعل: "بالتّبشير بالعذاب الأليم للذين ينكرون رسالة سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم في الدنيا والآخرة، أي من لم يمتثل (يخضع) لأوامر الله له العذاب الأليم"، إذن التهكّم هو الاستهزاء بالمخاطب.

كما نجد الآية [34] من السورة ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

فبشّرهم" فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: التهكّم.

وهو فعل كلامي طلبي توجيهي تضمّن قوّة إنجازيّة حرفيّة: وهي الأمر بتبشيرهم وإخبارهم بعذاب أليم، أي الإنذار جاء بصيغة التّبشير.

وتتجسّد القيم الحجاجيّة للفعل: إخبارهم بعذاب مؤلم وهو تهكّم بهم لأنّ البشارة تكون في الخير لا في الشرّ والتبشير مستعار للوعيد على طريقة التهكّم، أي اللّذين يكنزون الذهب والفضّة ولم ينفقوها في سبيل الله ولم يمتثلوا لأوامر الله وعصوا فأنذرهم بعذابه اللّاحق بهم.

فجاء الإنذار هنا بصيغة البشارة والتهكّم بهم، وتضمّنت الآية حكما شرعيّا هو تحريم اكتناز المال دون إنفاقه في سبيل الله.[3]

---

[1] المرجع نفسه: ص 111.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 111.

[3] المرجع نفسه: ص 115.

الموضع 4: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.سورة التوبة [5].

فاقتلوا: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: **الإذن والإباحة**، وجاء في تفسير التحرير والتّنوير: "والأمر في فاقتلوا المشركين للإذن والإباحة"[1].

إذن فهو فعل كلامي طلبي توجيهي تضمّن قوّة إنجازيّة حرفيّة وهي الأمر الصّريح بالقتال.

"أي إذا انقضت الأشهر الأربعة الحرم التي حرّم فيها القتال والقتل بين المشركين والمسلمين في يوم النّحر إلى العاشر من ربيع الآخر فقد أذن لكم في قتلهم وأخذهم".[2]

تتجسّد القيمة الحجاجيّة للفعل في "إباحة قتل المشركين العرب حتّى يسلموا".

فالقتل هنا مباح أي بعد انتهاء المدّة التي أمهلهم فيها الله وبعد أن انقضت تلك الحالة أباح الله قتلهم لأنّهم لم يخضعوا لأوامره أي عصوه فأذن الله تعالى بقتلهم.

وخذوهم: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: **الإذن والإباحة** وهو فعل كلامي توجيهي، تضمّن قوة إنجازيّة حرفيّة وهي: الأمر الصّريح بأخذ وأسر المشركين.

تتجسّد القيمة الحجاجيّة للفعل: "إباحة أخذ وأسر المشركين، الأخذ و الأسر إنّما يكون للقتل والفداء لأنّهم لم يمثلوا لأوامر الله تعالى".

---

[1] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 115.

[2] وهبة الزّحيلي: التفسير المنير، ص 453.

واحصروهم: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: **الإذن و الإباحة** فعل كلامي توجيهي تضمّن قوّة إنجازيّة حرفية في الأمر الصّريح بمحاصرة المشركين في مواقفهم ومنعهم من الخروج.

تتجسّد القيمة الحجاجيّة للفعل: "إباحة حصر المشركين ومنعهم من دخول أرض الإسلام إلّا بإذن المسلمين لأنّهم أصرّوا على الكفر بالله فالله تعالى أمر المسلمين بحصرهم في كلّ مكان وجدوا فيه".

واقعدوا: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: **الإذن والإباحة** وهو فعل كلامي توجيهي، تضمّن قوّة إنجازيّة حرفيّة وهي: الأمر الصّريح **بمراقبة كلّ موضع أو طريق أو ممرّ يجتازونه في أسفارهم.**

إذ نرى هذه الأفعال: **فاقتلوا، وخذوهم، واحصروهم، واقعدوا** جاءت **للإذن والإباحة** أي فقد أذن لكم في قتل المشركين العرب حتّى يسلموا وأخذهم أسرى ومحاصرتهم في مواقعهم من القلاع والحصون ومنعهم من الخروج حتى يسلموا ويرضخوا كما تملونه عليهم من الشروط إلّا من الشروط إلّا تأذنوا لهم ، فيدخلوا إليكم بأمان.[1]

والإذن والإباحة من الأفعال الكلاميّة المتفرّعة عن أسلوب الأمر، والأمر من بين أساليب الإنشاء الطّلبي أفعال مستدعاة بالقول جديدة فكلّها يمكن إدراجها ضمن الأمريّات عند سيرل (searl) .[2]

الموضع 5: قال الله تعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم إنّ الله غفور رحيم﴾.

فخلّوا: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: الإذن أي الإذن بالكفّ عن القتال في حال التوبة، وهو فعل كلامي توجيهي، تضمن قوّة إنجازيّة حرفيّة وهي: الأمر الصّريح بكفّ وترك القتال عن المشركين الذين آمنوا أي ترك كل طريق أمروا برصده في حال التوبة.

---

[1] وهبة الزّحيلي: التفسير المنير، ص453.

[2] مسعود صحراوي: التداوليّة عند العلماء العرب، ص 153.

وحقيقة "خلّوا سبيلهم" اتركوا طريقهم الذي يمرّون به أي اتركوهم يسرّون مجتازين أو قادمين عليكم إذ لا بأس عليكم منهم في الحالتين، فإنّهم صاروا إخوانكم وهذا المركب مستعمل هنا تمثيلا في عدم الإضرار بهم ومتاركتهم. [1]

وتتمثّل القيمة الحجاجيّة للفعل في ترك الطريق الذي يمرّون به، أي وهب الحياة لهم، فإنّهم صاروا إخوة وعدم التعرّض لهم وقتلهم ومحاصرتهم وأخذهم أسرى، أي وهب حريّة الانتقال ودخول وخروج أين ما شاءوا وذلك في حال التوبة لأنّهم صاروا إخوة.

وجملة "إنّ الله غفور رحيم" تذييل أريد به حثّ المسلمين على عدم التعرّض بالسوء للذين يسلمون من المشركين، وعدم مؤاخذتهم لما فرط منهم، فالمعنى اغفروا لهم لأنّ الله تعالى غفر لهم وهو غفور رحيم، أو اقتدوا بفعل الله إذا غفر لهم ما فرط منهم كما تعلمون فكونوا أنتم بتلك المثابة في الإعفاء عمّا مضى.[2]

الموضع 6: قال الله تعالى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة التوبة [6].

فأجره: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: **الأمر بمنح الأمان للمشركين**، وهذا الفعل التوجيهي تضمّن قوّة إنجازيّة حرفيّة وهي: الأمر الصّريح **بوجوب قبول الأمان ومنحه لمن استأمن المسلم من المشركين أي استمرار إجازة غير المسلمين في أرض الإسلام إلى أن يبلغ المكان الذي يأمنه.**

والمعنى "وإن جاءك أحد من المشركين الذين نقضوا العهد بعد انقضاء مهلة السيّاحة بحريّة مطلقة وهي الأشهر الأربعة، بطلب الأمان ليسمع كلام الله ويتدبّره ويفهم حقيقة الدّين، فيجب تأمينه وحمايته حتى يصل إلى غايته ويحرّم قتله والتّعدّي عليه".[1]

---

[1] محمّد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير المنير، ص116.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 117.

وهذا الفعل تضمّن قيمة حجاجيّة هي: **جعل التّأمين إبلاغا، فأمر به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهذا يتضمّن أمر المسلمين بأن لا يتعرّضوا له بسوء حتى يبلغ بلاده الذي يأمن فيها وتحريم قتله والتعدّي عليه أي "مشروعيّة الأمان"**، وهذا رحمة من الله تعالى على وهب الحياة لهم، وهذا من باب التّرغيب في الإسلام.

فبعد أن أوجب الله تعالى قتال المشركين بعد مهلة الأمان التي هي أربعة أشهر حرم، لنقضهم العهود أبان الله تعالى أنّ المطالبة بالإسلام أو القتل لا يعني عدم تمكين المشركين من سماع أدلّة الإيمان، فلو طلب أحد من المشركين الدّليل والحجّة. أو جاء طالب استماع القرآن فإنّه يجب إمهاله، ويحرّم قتله، ويجب إيصاله إلى مأمنه ليكون على بيّنة وعلم من أمره.[2]

الموضع 7: قال تعالى:﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾الآية [7].

فاستقيموا: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي **الأمر بالاستقامة لهم أي الوفاء بالوعد ما داموا مستقيمين.**

وهو فعل توجيهي تضمن قوّة إنجازيّة حرفيّة هي الأمر الصريح ب **الاستقامة لهم أي إذا هم أقاموا على الوفاء ، فأقيموا القيم على مثل ذلك من استقام على عهده تعامله بمقتضاه أنّ المعاملة بالمثل** فالإسلام لا يقبل الغدر والخيانة، إلّا إذا بدر منهم الوفاء فالمسلمون من أهل التقوى.

والاستقامة: حقيقتها عدم الاعوجاج والسين والتاء للمبالغة مثل استجاب واستحبّ، وإذا قام الشيء انطلقت قامته ولم يكن فيه اعوجاج، وهي هنا مستعارة لحسن المعاملة وترك القتال لأنّ سوء المعاملة يطلق عليه الالتواء والاعوجاج فكذلك يطلق على ضدّه الاستقامة.[3]

---

[1] وهبة الزّحيلي: التفسير المنير، ص 458.

[2] وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ص 460.

[3] محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتّنوير، ص 122، 123.

وتكمن القيمة الحجاجيّة لهذا الفعل "في الأمر بالاستقامة لهم من التّقوى أي امتثال لأوامره تعالى".

«فالله تعالى يؤكّد ضرورة الوفاء لهم بالعهد بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ أي يرضى على اللذين يوفون بالعهد، ويتّقون الغدر ونقض العهد، وهذا تعليل الوجوب الامتثال، وتبيين بأنّ مراعاة العهد من باب التّقوى وإن كان المعاهد مشركا».[1]

إذن الجملة "إِنّ اللهَ يُحِبُّ المتَّقِينَ" تعليل للأمر بالاستقامة لأنّ الاستقامة لهم حفظا للعهد الذي هو من قبيل اليمين.[2]

الموضع 8: قال الله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ سورة التوبة الآية [24].

فتربّصوا: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي "**التّهديد والوعيد**". وحقيقته الوعيد كقوله تعالى "اعملوا ما شئتم".[3] وهو فعل كلامي توجيهي تضمّن قوّة إنجازيّة حرفيّة هي: "**الأمر بانتظار العذاب عاجلا أم آجلا** أي: **التّهديد**"، والمراد بانتظار الشرّ بقوله تعالى"**حتى يأتي أمر الله**" أي الأمر الذي يظهر سوء عاقبته إيثاركم محبّة الأقارب والأموال والمساكين على محبّة الله ورسوله والجهاد.[4]

وقال الزّمخشري: وهذه آية شديدة لا ترى أشدّ منها، كأنّها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين، واضطراب حبل اليقين.

---

[1] وهبة الزّحيلي: التفسير المنير، ، ص 465.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور: مرجع سابق، ص 123.

[3] محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، ط1، 1423، 2002، ص 119.

[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ، ص 154.

وقال البيضاوي: وفي الآية تشديد عظيم، وقلَّ من يتخلّص منه.[1]

وتتجسّد قيمته الحجاجيّة: أنّ الله تعالى يتوعّدهم ويهدّدهم بانتظار الشرّ وانتظار أمره، وأمره يحتمل أن يكون العذاب أو القتل أو نحوهما[2]، أي من يفضّل أهله وأقاربه على محبّة الله ورسوله فلينتظر العذاب في الدنيا والآخرة.

وهذه الآية شديدة كما أشرنا سابقا وجملة"والله لا يهدي القوم الفاسقين" تذييل والواو اعتراضيّة وهذا تهديد بأنّهم فضّلوا قرابتهم وأموالهم على محبّة الله ورسوله وعلى الجهاد فقد تحقّق أنّهم فاسقون والله لا يهدي القوم الفاسقين فيحصل بموقع التذييل تعريض بهم بأنّهم من الفاسقين.[3]

الموضع 9: قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية [29].

قاتلوا: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: "**الإباحة**"، وهو فعل كلامي توجيهي تضمّن قوّة إنجازيّة هي: الأمر الصّريح بقتال المشركين الذين يقاتلون المسلمين في جميع الأشهر حتى الحرم، أي القتل مباح.

تتجسّد قيمته الحجاجيّة "الأمر بقتل المشركين كافّة وإباحة القتل في جميع الأشهر حتى في الحرم وهذا ترغيب في قتالهم وتحريض ومعاملة بالمثل توحيدا للصفّ وجمعا للكلمة."

وقال بعض العلماء: "كان الغرض بهذه الآية قد توجّه على الأعيان أي القتال فرض عين، وجعل فرض كفاية".[4]

---

[1] وهبة الزّحيلي: مرجع سابق، ص 501، 502.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 154.

[3] المرجع نفسه: ص 154.

[4] وهبة الزّحيلي: التفسير المنير، ص 560.

فليست هذه الآية إعلان شامل للحرب على المشركين وإنّما هي آمرة بتوحيد المؤمنين وجعلهم جبهة واحدة عند قتال المشركين، فهي لتحريضهم على التّعاون و التناصر، وعدم التّخاذل والتقاطع، كما أنّ المشركين جبهة واحدة متعاونون متناصرون أثناء قتالهم المسلمين.[1]

وجملة "**واعلموا أن الله مع المتّقين**" **تأييد وضمان بالنصر عند قتالهم المشركين لأنّ المعيّة هنا معيّة تأييد على العمل، وليست معيّة علم، إذ لا تختصّ العلم بالمتّقين،** وابتدأت الجملة "**واعلموا**" للاهتمام بمضمونها كما تقدّم في قوله تعالى "واعلموا أنّ ما غنمتم من شيء" بحيث يجب أن يعلموه ويعوه.[2]

والآية بمنزلة تذييل لما قبلها من أجل ما فيها من العموم في المتّقين، دون أن يقال واعلموا أنّ الله معكم ليحصل من ذكر الاسم الظاهر معنى العموم، تفيد أنّ المتّصفين بالحال المحكيّة في الكلام السّابق معدودون من جملة المتّقين.[3]

الموضع 10: قال الله تعالى:﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الآية [41].

انفروا: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: "الأمر بالخروج لأمر واجب أي أمر الله تعالى بالنّفير العام مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب وحتّم على المؤمنين في الخروج معه على كلّ حال في المنشط والمكره والعسر واليسر".[4]

---

[1] وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ص 561.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 188.

[3] المرجع نفسه، ص 188.

[4] وهبة الزّحيلي: مرجع سابق، ص 576.

والمعنى أخرجوا إلى الجهاد على كلّ حال من يسر أو عسر، صحّة أو مرض، غنى أو فقر، شغل أو فراغ كهولة أو شباب، نشاط أو غير نشاط، أي خفاف في النفر لنشاطكم، وثقال عنه لمشقّته عليكم.[1]

وهو فعل كلامي إلزامي تضمّن قوّة إنجازيّة هي: **الحثّ على الجهاد والدّعوة إليه.**

جاهدوا: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: الأمر بالجهاد وقتل الأعداء وفيه إيجاب للجهاد بالنفس والمال إن أمكن، أو بأحدهما على حسب الحال، فمن قدر على الجهاد بنفسه وماله وجب عليه ذلك، ومن قدر على الجهاد بالنفس فقط أو بالمال فقط، وجب عليه.[2]

إذن الآية تدلّ على **إيجاب الجهاد** أي الجهاد واجب بالنفس، المال إذا قدر عليها أو أحدهما على حسب الحال والحاجة.

وللجهاد ثمرة يانعة عظيمة، فهو يحقّق إحدى الحسنين: إمّا النّصر وإمّا الشّهادة في سبيل الله، وفي ذلك من الخير العظيم ما لا يوصف سواء في الدنيا بإعلاء كلمة الله وإعزاز المسلمين وفي الآخرة بالقرار في نعيمها والاستمتاع بخلود الجنّة، ولا يقدر هذا إلّا المؤمن الصادق الإيمان، فما يستفاد الجهاد من نعيم الآخرة خير وأعظم ممّا يستفيده القاعد عنه من الراحة والتنعيم بهما، ولا تدرك الخيرات إلّا بالتأمّل ولا يعرفهما إلّا المؤمن بالآخرة، لذا قال الله تعالى: "إن كنتم تعلمون".[3]

إذن الفعلين "انفروا وجاهدوا" شكّلوا قيمة حجاجيّة تمثّلت في الامتثال لأمور الله توجب الفلاح ورضا الله.

الموضع 11: قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ﴾الآية [49]

---

[1]. وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ص 578.

[2]المرجع نفسه: ص 578.

[3]المرجع نفسه:ص 578

ائذن: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: **طلب الإذن في القعود و التخلّف عن القتال،** فهو فعل كلامي توجيهي تضمّن قوة إنجازيّة هي: الأمر الصريح بالاستئذان في التخلّف عن (القتال) الجهاد وعدم وجود عذر يمنعهم من الغزو، ولكنّهم صرّحوا بأن الخروج إلى الغزو يفتنهم لمحبّة أموالهم وأهليهم ففضح الله أمرهم بأنّهم منافقون.[1]

طلب الإذن من التخلّف عن الجهاد بأعذار كاذبة لا تخفى على الله المطّلع على الغيوب وأسرار النفوس وخفايا ما في الصدور، فالله كاشف كلّ شيء ولكنّ المنافقين قوم أغرار جاهلون لا يعلمون هذه الحقيقة.[2]

والمنافقون الذين تخلّفوا: هم الواقعون في الإثم والمعصيّة، قال أهل المعاني في قوله: ﴿**أَلَا فِي الفتنَةِ سَقَطُوا**﴾ فيه تنبيه على أنّ من عصى الله لغرض ما، فإنّه تعالى يبطل عليه ذلك الغرض.[3]

تشكّلت قيمته الحجاجيّة: في أنّ المنافقين الذين استأذنوا التخلّف عن الجهاد من غير وجود عذر وقعوا في الفتنة ولهم عذاب الله وأمره حاضر لا محالة.

الموضع 12: قال الله تعالى: ﴿قل لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكّل المؤمنون﴾

هذه الآية هي جواب لقولهم "قد أخذنا أمرنا من قبل" المنبئ عن فرحهم بما ينال المسلمين من مصيبة بإثبات عدم اكتراث المسلمين بالمصيبة وانتفاء حزنهم عليها لأنّهم يعلمون أنّ ما أصابهم ما كان إلا تقدير الله لمصلحة المسلمين في ذلك فهو نفع.[4]

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 220.

[2] وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ص 578.

[3] المرجع نفسه: ص 598.

[4] محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق، ص 223.

وفيه تعليم للتخلّق بهذا الخلق، وهو أن لا يحزنوا لما يصيبهم وأن يرضوا بما قدّر الله لهم ويرجوا الرضا من ربّهم لأنّهم واثقون بأنّ الله يريد نصر دينه وجملة "**هو مولانا**" في موضع الحال من اسم الجلالة، أو معترضة أي لا يصيبنا إلّا ما قدّره الله لنا، ولنا الرّجاء بأنّه لا يكتب لنا إلّا ما فيه خير لنا العاجل أو الآجل لأنّ المولى لا يرضى لمولاه الخزي.[1]

فليتوكّل: فعل كلامي طلبي مباشر، غرضه الإنجازي: حث المؤمنين على التوكّل على الله والاعتماد عليه دون غيره، وهو فعل كلامي توجيهي تضمّن قوة إنجازيّة حرفية وهي: الأمر الصّريح بالتوكّل على الله دون سواه، والغرض الكلامي متمثّل في حمل المخاطبين على التوكّل على الله، ودرجة الشدّة التي عُرض بها الغرض الإنجازي يعبّر عنها الأمر والحثّ وكما تضمّن الفعل قيمة حجاجيّة تمثّلت في: "**التوكّل على الله وتفويض الأمر إلى الله وعدم الاكتراث للمصيبة ينجيهم والتوكّل أحد الأسباب الرئيسيّة التي توجب الفلاح**"

وعلى الله وحده فليتوكّل المؤمنون، أي ونحن متوكّلون عليه، هو حسبنا ونعم الوكيل، وحقّ المؤمنين ألّا يتوكّلوا على غير الله، فليفعلوا ما هو حقهم، ومن حقّهم اتّخاذ ما يجب من أسباب النّصر الماديّة والمعنويّة كإعداد العدّة اللازمة، وتوقّي كل المنازعات التي تؤدّي إلى الفشل وتفرّق الكلمة.[2]

وتنتقض هذه القيمة الحجاجيّة في حال توكّل المؤمنين واعتمادهم على غير الله ولم يمتثلوا لأوامره ولم يجتنبوا نواهيه، **إذن فالتوكّل على الله في كلّ الأمور يجلب الاطمئنان عند المصائب والرّضا بقضائه وقدره.**

الموضع 13:كما نجد أنّ الأمر قد يخرج إلى التسويّة، وهي الأفعال الكلاميّة المستنبطة من الأمر في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾الآية [53].

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير المنير، ص 223.

[2] وهبة الزّحيلي: التفسير المنير، ص 597.

ففعل الإنفاق المستدلّ عليه بفعل الأمر (أنفقوا) فعل حفَّزَ قوّته الإنجازيّة حرف العطف "أو" الذي أفاد التسويّة. فأنفقوا فيه إشارة إلى التسويّة بين فعل المأمور به وعدمه فالله لن يتقبّل منهم الإنفاق طائعين أو مكرهين.

كما يشير الشيخ الطاهر بن عاشور: «والأمر في أنفقوا للتسويّة أي: أنفقوا أو لا تنفقوا، كما دلّت عليه أو في قوله طوعًا أو كرهًا وهو في معنى الخبر الشّرطي».[1]

إذن الفعل **أنفقوا**: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: **التسويّة**.

الموضع 14: قال الله تعالى:﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾الآية [64].

الآية تضمّنت **فعلان كلاميّان طلبيّان مباشران** غرضهما الإنجازي: "**التهديد والوعيد**"، والفعل **استهزءوا** تضمّن قوّة إنجازيّة حرفيّة وهي: **الأمر الصريح بالاستهزاء بآيات الله كما يشاءون حتى يأتي الله بأمره.**

تشكّلت قيمته الحجاجيّة في كل من يستهزئ بالله وآياته ورسوله له عذاب أليم فالله تعالى يتوعّد ويهدّد المنافقين الذين يستهزئون بآياته "فالاستهزاء بالدين كفر بالله، لمنافاته مقتضى الإيمان وهو تعظيم الله تعالى" .[2]

"فالاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر محض، وشرّ مستطير، والمراد بالاستهزاء بالله، الاستهزاء بذكر الله وصفاته، وتكاليف الله تعالى: والمراد بآيات الله القرآن وسائر أحكام الدين، والاستهزاء بالرّسول معلوم كالطّعن برسالته وتطلّعاته وأخلاقه وأعماله".[3]

الموضع 15: قال الله تعالى: :﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الآية [73].

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 226.

[2] وهبة الزّحيلي: التفسير المنير، ص 446.

[3] المرجع نفسه، ص 445، 446.

تصدّرت الآية بأسلوب نداء "**يا أيّها النبيّ**" ثمّ تلاه فعل أمر جاهد وهو أمر الله تعالى رسوله –صلّى الله عليه وسلّم– بالجهاد ومعاملتهم بالخشونة والشّدة، أي فعل الأمر "**اغلظ**" .

إذن **فجاهد و اغلظ**: فعلان كلاميّان طلبيّان مباشران غرضهما الإنجازي: الأمر بالجهاد والأمر بأن يكون غليظا أي المعاملة بالخشونة والشّدة وضدّه اللّيونة.

وتضمّنا قوّة إنجازيّة حرفيّة هي: **الأمر الصريح بالجهاد والمعاملة بالخشونة والشدّة والتخلّي عن اللّيونة**، أي وجوب مجاهدة الكفّار والمنافقين، والخطاب للنبي صلّى الله عليه وسلّم ولأمّته من بعده أو ذلك لإعلانهم الكفر وسبّهم النبي صلّى الله عليه وسلّم والطعن في الإسلام واستهزائهم بآيات الله و بالرسول.

ويتمثّل جهاد الكفّار إما بالسّيف وسائر أنواع الأسلحة الحربيّة باللّسان، وشدّة الزّجر والتّغليظ أو إقامة الحجّة والبرهان.[1]

فالفعلان **جاهد** و **اغلظ** شكّلوا قيمة حجاجيّة هي "وجوب مجاهدة ومعاملة المنافقين بالخشونة وذلك لاستهزائهم بآيات الله وطعنهم في الدين، وهذا امتثال لأوامر الله بالجهاد والغلظة فالجهاد هو دلالة على سرعة الامتثال لأوامر الله وصدق الإيمان الحقيقي".

الموضع 16: قال الله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الآية [80].

وكما أشرنا سابقا أنّ الأمر قد يخرج للتّسويّة، ففعل الاستغفار هنا المستدلّ عليه بفعل الأمر (استغفر) وما حفّز قوّته الإنجازيّة حرف العطف "أو" الذي أفاد التسويّة، إذن فصيغة الأمر في قوله "استغفر" مستعملة في معنى التسويّة.

[1] وهبة الزحيلي:التفسير المنير، ص 672.

فالله تعالى يبيّن في هذه الآية أنّ المنافقين ليسوا أهلا للاستغفار، ولا ينفعهم الدّعاء، فسواء استغفر لهم الرّسول أو لم يستغفر لهم، فلن يستر الله عليهم ذنوبهم بالعفو عنها، وترك فضيحتهم بها وأنّه لو استغفر لهم سبعين مرّة لن يغفر الله لهم ولن يعفوا عنهم وذلك نظير لقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾سورة المنافقون الآية [5].

وليس المراد بالسبعين في الآية هنا التحديد بعدد معيّن، فيكون ما زاد عليها بخلافها، وإنّما المراد المبالغة في الكلام بحسب أسلوب العرب.[1]

إذن فالفعل **استغفر**: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: **التسويّة**.

الموضع 17: قال الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأية [82].

معنى الآية "**فليضحكوا**" في الدنيا وليبكوا في الآخرة وهو خبر عن حالهم وارد بصيغة الأمر.[2]

فالله تعالى يخبرهم بعاقبة أمرهم فقال "**فليضحكوا**" أي أنّ الأولى بهم أن يضحكوا ويفرحوا قليلا ويبكوا كثيرا وهو خبر عن حالهم وارد بصيغة الأمر أي أنّ الله أخرج الخبر مخرج الإنشاء، أي مخرج الأمر يقصد به التّهديد وانتظار ما سيلاقون من عذاب شديد، جزاءا على ما اقترفوه أو اكتسبوه من الجرائم والنّفاق.[3]

فليضحكوا، وليبكوا: فعلان كلاميّان طلبيّان مباشران غرضهما الإنجازي التّهديد، تضمّنا قوة إنجازيّة حرفية هي: **الأمر الصريح بالفرح القليل في الدنيا والبكاء والحزن في جهنّم وجزاء بما كسبت أنفسهم** وهنا الله عزّ وجلّ يهدّدهم، وقد عبّر عنه بصيغة المضارع المجزم بلام الأمر **وليضحكوا و ليبكوا** وهنا تهديد كما أشرنا سابقا.

---

[1] وهبة الزّحيلي، التفسير المنير، ص 684.

[2] المرجع نفسه: ص 686.

[3] المرجع نفسه: ص 686.

الموضع 18: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ الآية 86.

إذن الفعلين **آمنوا و جاهدوا** فعلان كلاميان طلبيان مباشران غرضهما الإنجازي: حثّ المؤمنين على الإيمان بالله والأمر والدعوة إلى الجهاد مع الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

والفعلان تضمّنا قوّة إنجازيّة حرفيّة هي: الأمر الصّريح بالإيمان بالله والأمر بالجهاد مع رسوله.

وتتشكّل القيمة الحجاجيّة للفعلين في " الإيمان بالله والجهاد مع رسول هو الامتثال لأوامر الله تعالى وصدق الإيمان وهذا يجلب لهم الثواب والمغفرة"

الموضع 19: قال الله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا ﴾ الآية [95].

فأعرضوا: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: هو **التحقير**، أي الحثّ على عدم توبيخهم فيجب الإعراض عنهم احتقارا لهم.

والفعل تضمّن قوة إنجازيّة حرفيّة تمثّلت في: **الأمر الصّريح بالإعراض وعدم الإلتفات نحوهم، أي أعرضوا عنهم ولا توبّخوهم**.

وجاء في التفسير المنير: "فأعرضوا عنهم ولا توبّخوهم احتقارا لهم لأنّهم رجس أي قذر معنوي وخبث نجس واعتقاداتهم لا يقبلون التّطهير، وهذا علّة الإعراض وترك المعاتبة.[1]

وتتجسّد قيمته الحجاجيّة في " أنّ الإعراض عن المنافقين وعدم توبيخهم هنا امتثالا لأمر الله والاحتراز عنهم خوفا من التأثّر بأعمالهم والميل إلى طبائعهم"

[1] وهبة الزّحيلي: التفسير المنير، ج11، ص 10.

الموضع 20: قال الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ " **اتقوا**: فعل كلامي طلبي مباشر غرضه الإنجازي: **الحثّ على تقوى الله والحذر منه بامتثال ما نهاهم عنه.**

وفعل كلامي طلبي إلزامي تضمّن قوّة إنجازيّة حرفيّة تجلّت في: **الأمر الصّريح للمؤمنين بتقوى الله** وتتجسّد قيمته الحجاجيّة في " أنّ الامتثال لأمر الله وطاعته بتقواه، أي: اتقوا وتجنّبوا ما لا يرضاه الله من مخالفة الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه في الغزوات ولا تكونوا متخلّفين عنها وجالسين مع المنافقين في البيوت وكونوا في الدنيا مع الصادقين في إيمانهم وعهودهم، أو في دين الله نيّة وقولا وعملا، تكونوا في الآخرين مع الصادقين في الجنّة.[1]

كما نجد في الآية الفعل "كونوا" فعل كلامي طلبي مباشر يتمثّل غرضه الإنجازي في: حث المؤمنين على الصّدق أي **اصدقوا**: وهو فعل كلامي توجيهي تتمثّل قوته الإنجازيّة في الأمر الصّريح بالصّدق والثبات على دين الله.

والقيمة الحجاجيّة تتجسّد في الأمر بأن يكونوا صادقين، الصّدق: الثبات على دين الله وشرعه وتنفيذ أوامره وطاعة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، فالصّدق يهدي إلى البرّ وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة، وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النّار وترك الكذب كما أوصى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سبيل لترك جميع المعاصي من خمر زنا وسرقة ونحوها.[2]

---

[1] وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ص 72.

[2] المرجع نفسه: ص73.

خاتمة

خاتمة

إنّ لكلّ بداية نهاية، فها هو بحثنا يصل إلى محطّته الأخيرة، وهي نافذة يمكن أن نطلّ من خلالها على ما مرّ بنا في هاته الدّراسة، حيث يجد القارئ نفسه أمام الموضوع بشيء من الإيجاز، ويمكننا تحديد نتائج بحثنا كالتالي:

- التداوليّة فكر لغوي حديث جاء للردّ على المبادئ التي وضعتها البنيويّة.

- تختصّ التداوليّة بدراسة اللّغة في استعمالاتها ويشترط فيه التفاعل بين المتكلّم وبين المستمع.

- إنّ اتّساع مجال التداوليّة والتقاءها مع العديد من العلوم جعل علماء اللّغة لا يقتصرون على تعريف واحد للتداوليّة.

- تعتبر التداوليّة بحر تصبّ فيه مجالات عديدة من العلوم متّصلة باللّغة "كعلم الدّلالة، اللّسانيّات الإجتماعيّة واللّسانيّات البنيويّة...."

- الاستلزام الحواري من أبرز المفاهيم في الدّرس التّداولي الغربي إذ يعدّ من أكثر النّظريّات التداوليّة المطبّقة على الخطابات.

- تعتبر الأفعال الكلاميّة النواة المركزيّة للتداوليّة، ويعتبر الفعل الكلامي الإنجازي المحور الذي تدور حوله نظريّة أفعال الكلام التداوليّة عند كل من أوستين وسيرل.

- يعدّ أوستين أوّل من أرسى معالم التداوليّة، وأتى سيرل بتعديلات جديدة لتطويرها.

- تناول العلماء العرب القدماء ومنهم (النّحاة والبلاغيّون) دراسة الأفعال الكلاميّة ضمن مباحث نظريّة الخبر والإنشاء، وكان الكثير منهم على وعي بالجانب التّداولي.

- إنّ المعيار في تصنيف أفعال الكلام حسب "سيرل" هو هدف فعل التلفّظ (فعل القصد) ذلك أنّه وطبقا لأفعال الكلام فإنّ قصد المتكلّم يعدّ عنصرا محوريّا في إنجاز الفعل الكلامي.

خاتمة

– يعدّ فعل الأمر من أبرز الأفعال الكلاميّة من منظور التداوليين لأنّه يجسّد صدق عمليّة التّواصل بين المتكلّم والمخاطب، فهو فعل كلامي مباشر غايته إحداث أثر بتغيير سلوك أو تهديد أو العدول عن شيء إلى شيء آخر والالتزام بالمطلوب.

– لقد طغت أفعال الأمر المباشرة على أفعال الأمر غير مباشرة في سورة التّوبة وذلك من أجل إبراز طاقة إنجازيّة متمثّلة في إحداث أثر في نفس المخاطب، للامتثال لأوامره عزّ وجلّ.

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع

1.آن روبول، جاك موشلار:التداوليّة اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

2. الإستراباذي: رضي الدين: شرح الكافيّة في النّحو لابن الحاجب، تح: رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت ط2، 2000م

3. أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق 1991م.

4. بهاء الدين محمد فريد: تبسيط التداوليّة من أفعال اللّغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 2010م.

5. التفتازاني:المطوّل في شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، منشورات دار الحكم، إيران، دط، دس.

6.الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلميّة، بيروت، دط، 1995.

7.جمال حمود: فلسفة اللّغة عند لودفيغ فيتجنشتاين، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 1430هـ، 2009م.

8.جورج يول: التداوليّة، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 1431_2010.

9. الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداوليّة، تر: محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعيّة،بن عكنون الجزائر، دط، 1992.

10. خليفة بوجادي: في اللّسانيات التداوليّة، بيت الحكمة للطباعة والنشر، ط1، 2009.

11. الدسوقي: شرح مختصر التفتازاني ضمن شروح التلخيص، منشورات دار الحكمة، إيران دط، دس.

12. الزمخشري: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم، وشوقي المعرّي، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1 1998م.

13. الزمخشري: تفسير الكشاف، دار المعرفة بيروت لبنان، ط3، 2009.

14. السكاكي أبو يعقوب: مفتاح العلوم، دار الكتب العميّة، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

15.سيبويه أبو بشر عمرو بن قنبر: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دط، دس.

16.شاهر الحسن: علم الدلالة السيمنتيكيّة والبراجماتيّة في اللّغة العربية، دار الفكر، عمان، ط1، 1422هـ-2001م.

17.صابر الحباشة: التداوليّة والحجاج –مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، دط 2008م .

18. طالب سيد هاشم الطبطائي: نظرية الأفعال الكلامية في فلسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، دط، 1994.

19.طه عبد الرحمن: اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان ط2، 2000.

20. طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان ط1، 1998.

21. عبد السّلام هارون: الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربي، مكتبة الخانجي، مصر، دط، 1979.

22. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، رشيد رضا، المكتبة العصريّة، بيروت، دط، 2000.

23. عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت- لبنان ط2 2007.

24. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت، لبنان، ط1، 2004.

25.عمر بلخير: نظرية تحليل الخطاب المسرحي: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظريّة التداوليّة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.

26. العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني، دار الأمان، الرباط، ط1، 1432هـ- 2011م.

27. الفارابي أبو نصر: الحروف، تر: محمد مهدي، دار المشرق، بيروت، لبان، ط2، 1990.

28. ابن فارس: معجم مقاييس اللّغة، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط2، 1429هـ، 2008م، مادة دول، الجزء 1.

29. فان دايك: علم النص، تر: سعيد حسن بحري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 1421هـ- 2001 م.

30.فرديناند دوسوسير: علم اللّغة العام، تر: يوئيل يوسف، عزيز، دار الكتب للطباعة والنشر، بيت الموصل بغداد دط، دت.

31. فرنسواز أرمينكو: تر: سعيد علوش، المقاربة التداولية مركز الإنتماء القومي، الرباط، 1986.

32. فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع،اللاذقية سورية ط1، 2007.

33. محمد سويرتي: اللّغة ودلالاتها، عالم الفكر، الكويت،مجمع 28، ط3، 2000.

34. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،تونس، دط، 1984م.

35.محمد عكاشة: النظريّة البراجماتية اللّسانيّة، التداوليّة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013.

36. محمد يونس علي: مقدمة في علم الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

37. محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، دط، 2002.

38. محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللّغة، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنشر، الإسكندريّة، دط، دت.

39. مختار عطية: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم –دراسة بلاغية، دار الوفاء، الإسكندريّة، دط دس.

40.مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب –دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي– دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

41. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ، بيروت ، لبنان، ط4، 2005 م، مادة دول المجلد5.

42. نعمان بوقرة: لسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة،عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي، الأردن، ط1 2009.

43.نعمان بوقرة: لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 2012.

44. ابن هشام الأنصاري: معنى اللبيب عند كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريّة بيروت، لبنان، دط، 1991م، ج2 .

45.وهبة الزّحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشّريعة والمنهج، مج 5، الجزء9-10، دار الفكر، دمشق، البرامثة ط10، 2009.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	أ–د
مدخل: ماهية التداولية	
1– مفهوم التداوليّة.	**6**
1–1تعريف التداوليّة لغة.	**6**
1–2 تعريف التداوليّة اصطلاحا.	**7**
2– الجذور الفلسفيّة للتداوليّة.	**11**
3– قضايا التداوليّة.	**19**
3–1 أفعال الكلام.	**19**
3–2 السيّاق.	**19**
3–3 الاستلزام الحواري.	**21**
3–4 الحجاج.	**22**
4– علاقة التداوليّة بالعلوم الأخرى.	**25**
4–1 التداوليّة وعلاقتها باللّسانيّات البنيويّة.	**26**
4–2 التداوليّة وعلاقتها بعلم الدّلالة.	**27**

4-3 التداوليّة وعلاقتها باللّسانيّات الاجتماعيّة	**28**
4-4 التداوليّة وعلاقتها بالتعليميّة.	**29**
الفصل الأوّل: نظريّة أفعال الكلام	
1- تعريف أفعال الكلام.	**32**
2- الأفعال الكلاميّة في الدّراسات الغربيّة.	**33**
2-1 أفعال الكلام عند أوستين.	**33**
2-2 أفعال الكلام عند سيرل.	**39**
3- الأفعال الكلاميّة في الدراسات العربيّة.	**44**
3-1 جهود البلاغيّين في دراسة الأفعال الكلاميّة.	**47**
3-2 جهود النّحاة في دراسة الأفعال الكلاميّة.	**58**
الفصل الثاني: دراسة تطبيقيّة لتداوليّة فعل الأمر في سورة التوبة	
1- التعريف بالسورة.	**68**
1-1 ترتيبها وعدد آياتها وتسميّتها.	**68**
1-2 زمن ومكان نزولها.	**69**
1-3 ما اشتملت عليه السورة.	**69**
2- أسلوب الأمر وبعده التّداولي في سورة التوبة.	**71**
2-1 دراسة إحصائيّة لأفعال الأمر في السورة.	**71**

2-2 فعل الأمر والتوجيهات التداوليّة في سورة التوبة.	**74**
الموضع 1:﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾.	**75**
الموضع 2: قال الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ .	**76**
الموضع 3: قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ .	**77**
الموضع 4: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.	**78**
الموضع 5: قال الله تعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم إنّ الله غفور رحيم﴾.	**80**
الموضع 6: قال الله تعالى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾.	**81**
الموضع 7: قال تعالى:﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.	**81**
الموضع 8: قال الله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.	**82**
الموضع 9: قال الله تعالى:﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾	**83**
الموضع 10: قال الله تعالى:﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.	**85**
الموضع 11: قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ﴾.	**86**
الموضع 12: قال الله تعالى: ﴿قل لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكّل المؤمنون﴾ .	**86**
الموضع 13: في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.	**88**
الموضع 14: قال الله تعالى:﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾.	**88**

الموضع 15: قال الله تعالى: :﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.	**89**
الموضع 16: قال الله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ .	**90**
الموضع 17: قال الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.	**90**
الموضع 18: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ .	**91**
الموضع 19: قال الله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا﴾ .	**91**
الموضع 20: **قال الله تعالى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.	**92**
خاتمة.	**95**
قائمة المصادر والمراجع.	**98**
فهرس الموضوعات	

الملخص:

لقد شهد الدرس اللغوي اتّساعا واسعا نظرا للاهتمام به إذ انفتحت آفاق اللسانيّات على مجالات وحقول لم تطرقها من قبل، فنجد أنّ العقد السابع من القرن العشرين شهد منعرجا جديدا في الفكر اللغوي الحديث والمتمثّل في بروز مصطلح التداوليّة وفي هذا الإطار نجد حقل الدراسات التداوليّة، هو حقل معرفي جديد جاء كردّ فعل على البنيويّة التي أهملت المعنى عامّة والكلام خاصّة، فالتداوليّة أولت أهميّة بالغة بالجانب الاتّصالي أي أعادت الاعتبار للكلام والأداء من خلال دراسة اللغة في علاقتها مع مستعمليها.

وتعتمد التداولية في دراستها للغة على محاور وقضايا أهمها: السيّاق والحجاج والاستلزام الحواري وأفعال الكلام وهذه الأخيرة هي الفكرة الأولى التي نشأت منها التداوليّة، والحديث عن التداوليّة يحيل مباشرة إلى أفعال الكلام التي هي أغراض بتعبير علمائنا القدامى، كما يعدّ أوستين أوّل من أرسى معالم التداوليّة، ثم أتى سيرل بتعديلات جديدة لتطويرها كما نجد أنّ علمائنا القدامى (النحاة والبلاغيّون) تناولوا دراسة الأفعال الكلاميّة ضمن مباحث نظرية الخبر والإنشاء وكان الكثير منهم على وعي بالجانب التداولي.

الكلمات المفتاحية: التداولية، أفعال الكلام، الحجاج، التوجيهات.